الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

البعد الاجتماعي في رسالة المعاد و المعاش عند الجاحظ

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب(ة):
ابتسام منصوري

إشراف الأستاذ(ة):
زهيرة بوزيدي

السنة الجامعية: **2014/2013**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة:

إن الفترة الزمنية التي عاشها الجاحظ من عصر الخلافة العباسية لهي جديرة بالدراسة ذلك أن الجاحظ استطاع في هذه الفترة أن يطل علينا بآراء و أفكار تعكس لنا نظرته الثاقبة للآداب و الفنون بصفة عامة و لمجتمعه بصفة خاصة. فالفترة العباسية تعتبر من أعظم الفترات التاريخية التي مرت على الأمة العربية الإسلامية، إذ عرفت خلالها ازدهار في مختلف الميادين خاصة الأدبية و الفكرية منها، لكن ظل هناك من يتربص بهذه الحضارة من موبقات اجتماعية و سياسية و أخلاقية من شأنها زحزحة عرش الازدهار العربي.

و قد برز خلال هذه الفترة عظماء الأدب و الفكر الذين لمعوا في سماء التراث العربي و أغنوا المكتبة العربية بمخلفاتهم القديمة و على رأسهم الجاحظ، هذا الأديب الفذ الذي نحت بصمته في صميم الأدب العربي، و لعل أهم أسباب اختياري لهذا الموضوع يمكن رصدها فيما يلي:

- السمة التي اشتهر بها أدب الجاحظ من فكاهة و تندر، و كذا الدور الفعال الذي لعبه الجاحظ تجاه مجتمعه في عصره.
- لقد كان لنا في موضوع بحث خلال السنوات الماضية بعنوان رسائل الجاحظ فلفتت انتباهنا عناوين و مواضيع هذه الرسائل.
- الرغبة الجادة في الاطلاع على التراث العربي و ما يحمله من ثقافة علمية و طاقات فذة.
- موضوع الدراسة و ما يحمله من قيمة علمية و اجتماعية و أبعاد ثقافية ما يجعل الباحث في قمة الشغف للاطلاع على المادة و الكشف عن أبعادها خاصة منها الاجتماعية.

و لقد حاولنا في هذه الدراسة الإجابة على مجموعة من التساؤلات أهمها:

- ما هي أبرز الموضوعات و الجوانب التي استقطبت نظرة الجاحظ في أدبه؟

- كيف عالج الجاحظ مختلف المسائل التي تعرض إليها مخضما إياها لأسلوبه الأدبي الفريد؟
- و ما هو سبب تأليفه لرسالته المعاد و المعاش و لماذا خص بها القاضي أبي الوليد محمد دون غيره؟
- و هل استمر مشروعه من تغير و تحسين لمجتمعه و إلي أي مدى؟

و للإجابة على ذلك اعتمدنا على منهج تحليلي وفق خطة كالآتي:

مقدمة، مدخل ، فصلين و خاتمة، حيث حاولنا في المدخل وضع فكرة شاملة العلاقة الأدب بالمجتمع، وعرفنا مفهوم البعد الاجتماعي كما بينا مظاهر العمل الاجتماعي في أدب الجاحظ، و خصصنا الفصل الأول النظري الموسوم ب " العناصر البيوغرافية" لعرض أهم المحطات التي مر بها الجاحظ في حياته و ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل، حيث افتتحناه بأهم العناصر السيرية لحياة الجاحظ بداية من اسمه، مولده ، نسبه ثم نشأته، حياته و وفاته ، فصفاته و أخلاقه، ثم وقفنا عند ثقافته و مصادرها وأهم أثاره التي تركها لنا ثم عرجنا على مقامه في أراء خصومه و عارفيه.

وعرضنا في المبحث الثاني معالم عصر الجاحظ و أهم مميزات الحياة السياسية و الاجتماعية و الثقافية في ذلك العصر، و ذلك كله وفق منهج تاريخي لأنه النسب لهذه الدراسة.

وقد باشرنا دراستنا التطبيقية في الفصل الثاني المعنون برسالة المعاد و المعاش للجاحظ و الذي وقع في مبحثين:

فخصصنا المبحث الأول لنموذج من الرسالة بهدف إعطاء لمحة عنها و تعريفها ذاكرين سبب تسميتها بهذا الاسم و لمن كانت موجهة و الغاية من تأليفها، كما تناولنا في هذا المبحث مضمون هذه الرسالة.

أما في المبحث الثاني فقد قمنا بتحليل الرسالة تحليل أدبي و درسناها دراسة بلاغية كما قمنا بتبيين أسلوب الجاحظ المتميز و اديولوجيته في الرسالة ذاكرين أهم الأفكار التي بنيت عليها الرسالة.

و في الأخير جاءت الخاتمة التي كانت عبارة عن جملة من النتائج المتوصل اليها من خلال البحث و التحليل، في محاولة للإجابة على التساؤلات المطروحة.

كما قدمت ملخص للبحث باللغتين العربية و الفرنسية و قد أردفت بقائمة المصادر و المراجع المرتبة ترتيبا الفبائيا و فهرس.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا أثناء قيامنا بهذه الدراسة فيمكن تلخيصها في ندرة الكتب التي تناولت بالدرجة الأولى الموضوع الاجتماعي في أدب الجاحظ.

و بالنسبة لمادة الموضوع فقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع أهمها: البخلاء للجاحظ تحقيق الدكتور محمد الاسكندراني، رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون، الجاحظ و مجتمع عصره لجبر جميل، الجاحظ دراسة عامة لجورج غريب، و كذا الجاحظ في البصرة و بغداد لشارل ب.لا إلا أن هذا يبقي ناقصا بالنظر إلى هذا الأديب العربي الكبير، و ما بقي لنا إلى أن نقول أننا قد حاولنا الاجتهاد في دراستنا هذه المتواضعة حتى نخرجها في صورة جميلة ملمة بجميع جوانب الموضوع، إلا أننا لا نعتقد فيها الكمال فلكل شيء إذا ما تم نقصان.

مدخل

مدخـــــل

1- تمهيد

2- علاقة الأدب بالمجتمع

3- مفهوم البعد الاجتماعي

4- مظاهر العمل الاجتماعي في أدب الجاحظ

1- تمهيد:

شغلت قضية العلاقة بين الأدب و المجتمع الكثير من الفلاسفة و المفكرين إلا أن هذه القضية لم تطرح على بساط البحث السوسيولوجي إلا مؤخرا نظرا لغياب إطار نظري واضح و محدد المعالم، و فضلا عن قلة عدد المتخصصين الذين يستطيعون الربط بين الأدب و علم الاجتماع في آن واحد، وذلك باستخدام مفاهيم علم الاجتماع و مناهجه و أدواته التصويرية و أطره الفكرية و قضاياه النظرية في دراسة الأدب.

لقد أدرك بعض علماء الاجتماع خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين أهمية إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الأدب باعتباره ظاهرة اجتماعية كباقي لظواهر الاجتماعية الأخرى، فأطلق على هذا النوع من الدراسة اسم علم اجتماع الأدب.

فالأدب ظاهرة اجتماعية أساسية يخضع لظروف الزمان و المكان و يتغير بتغيرهما،ويتطور بتطور الأوضاع الاجتماعية أي أن مبدأ الأدب التعبير عن المجتمع، أما المجتمع فهو تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، يعيشون في ظل قوانين واحدة، و لهم فيها بينهم مصالح مشتركة [1]، والأديب هو كائن اجتماعي يعيش في بيئة اجتماعية يتأثر بها و يؤثر فيها، فهو لا يعبر عن الأنا بل يعبر عن نحن أي عن المجتمع بأسره، لأن المجتمع هو مصدر الأعمال الأدبية، فإذا نظرنا إلى الأعمال الفنية أو الأدبية في المجتمعات البدائية لوجدنا أنها كانت ذات صبغة اجتماعية بحتة لأن معظم الشعراء كانوا يتناولون في قصائدهم موضوعات اجتماعية.

[1]- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر دمشق، سوريا، 1986م، ص15.

2- علاقة الأدب بالمجتمع :

ثمة علاقة وطيدة بين الأدب و المجتمع، إذ أقر بها الفلاسفة و العلماء منذ القديم في ظل نظرية المحاكاة، نظرية الانعكاس و شتى الآراء و الأفكار المطروحة في هذا المجال، و لم تكد تظهر نظرية الجدلية الماركسية حتى تأسّس على بنيانها، المنهج الاجتماعي للأدب أحد المناهج الرئيسية في الدراسات الأدبية، و هو منهج يربط بين الأدب و المجتمع باعتباره انعكاس للحياة.

إن العلاقة بين الأدب و المجتمع علاقة جذرية متماسكة إذ أنه لا يتولد فن عموما و لا أدب خصوصا إلا في الجماعة [1]، ولا يصح إذا قلنا إن فلان ينتج فنّا ليتمتع به لنفسه، أو يقول شعرا ليسمعه وحده. ثم من أين يستمد الفنان أو الشاعر انفعاله المبدع؟ أليس من تجاربه في بيئته؟ و هل يقتبس صوره و قيمه إلا من الثقافة التي تلقاها منذ الصغر، كما أن الشاعر لا يمكن أن يشعر بالرضي و الراحة إلا عندما يجد من يقرأ شعره أو يستمع إليه و يتمتع به، فيشاركه بذلك أحاسيسه و يقدر الأنامل التي صاغت هذا الشعر و نحتته.

نحن لا ننكر أن لكل شاعر طابعا يميزه عن سواه، و أن لشخصية الأديب و حياته النفسية دورا بارزا في مواقفه الأدبية، لأن الأدباء و الفنانين هم أبناء بيئتهم،منها يتناولون مواضيعهم و فيها يشع إنتاجهم و يتدفق إبداعهم و إليها يلتفتون، فلا أدب و لا فن إلا في الجماعة ومن أجل الجماعة [2]؛ إذ أنه لا يمكن الغوص في أعماق الأدب إلا داخل الإطار الاجتماعي الذي منه ينطلق الأدب و إليه يلتفت، و هذا موضوع علم الاجتماع الأدبي على الإجمال. إضافة إلي أن اختصاص أي فرع من فروع علم الاجتماع لدراسة الظاهرة الأدبية يعد من أوضح البراهين على هذا الترابط الوثيق بين الأدب و المجتمع.

---

[1]- أحمد رأفت عبد الجواد، "علم اجتماع الأدب"، مكتبة النهضة،(د ط)، القاهرة مصر، 1982م، ص122.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

فالأدب ظاهرة من ظواهر الوعي الاجتماعي لدى الناس المرتبط بالظروف الاجتماعية و المتغير بتغيرها [1] كما أنه ليس نتاج فردي بل هو ضرب من ضروب الإنتاج الجماعي فالعلاقة بين الأدب و المجتمع علاقة عضوية متبادلة تأثيرا و تأثر مثل العلاقة بين العلم و الحياة، فإذا كان العلم يغير أنماط الحياة على كل المستويات،فإن الأدب يقوم بنفس المهمة لأنه يؤثر في وجدان الناس و يغير في نظرتهم إلى الحياة و بتالي تغير سلوكهم فيها.

فتتضح أهمية المجتمع في عملية الإبداع الفني بشكل عام، و الإبداع الأدبي بشكل خاص ومن هنا يمكننا تتبع البدايات الأولى لعلاقة الأدب بالمجتمع من المنظور الاجتماعي عند ابن خلدون حيث يقول متحدثا عن دور الأدب و مكانته في المجتمع: "**اعلم أن السيف و القلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره.إلا أن الحاجة في أول الدولة إلي السيف مدام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلي القلم، لأن القلم في هذه الحالة خادم فقط منفذ للحكم السلطاني، و السيف شريك في المعونة و كذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها و يقل أهلها بما ينالهم من الهرم فيكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاها و أكثر نعمة و أسني إقطاعا. و أما في وسط الدولة فيستغني ي صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهد أمره و لم يبقي همه إلا في تحصي ل ثمار الملك من الجباية و الضبط ومباهاة الدول و تنفيذ الأحكام، و القلم هو المعين له في ذلك، فتعظم الحاجة إلي تصريفه، فيكون أرباب القلم في هذه الحاجة أوسع جاها و أعلى مرتبة و أعظم ثروة و نعمة، و أقرب إلي السلطان مجلسا و أكثر إليه ترددا و في خلواته نجيا لأنه حينئذ آلته التي بها يستظهر ثمرات ملكه،و النظر في أعطافه، و تثقيف أطراف ه والمباهاة بأحواله.**"[2]

تطرق ابن خلدون من خلال قوله السابق إلى علاقة الأدب بالمجتمع من خلال نظرة تمثلت في علاقة الأدب بالسلطة أو بمعنى أدق بالحاكم، فهي علاقة تربط الأدب بالواقع الاجتماعي و مدى تأثر الأديب بمشاكل مجتمعه.

[1]- محمد خليل، "علم اجتماع الأدب نشأته و تطوره"،عالم الفكر، العدد8، المجلد 40، جوان، 2012، ص 22.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون، "المقدمة"، دار الجيل، بيروت، ص204

مما سبق نستنتج أن العلاقة بين الأدب و المجتمع علاقة تأثير و تأثر ، لأن الأدب يعبر عن المجتمع أي أنه انعكاس للحياة الاجتماعية كما أنه ينبثق من خلفية اجتماعية و يتآلف معها. فالأديب عن طريق أدبه ينقل الواقع المعيشي بأمانة دون أي تحريف أو تزييف، معبرا عن أفكار المجتمع السياسية و الاجتماعية و الدينية و الأخلاقية. فيكون بذلك مؤثر و المجتمع متأثر و الأدب هو ذلك التأثير الذي ينتقل من الأديب إلى القارئ أي المجتمع.

3- مفهوم البعد الاجتماعي:

معنى البعد في هذا السياق هو الأثر أو الآثار، فعندما نقول بعد اجتماعي يعني الأثر الذي يتركه المجتمع. يستعمل هذا المصطلح عندما نريد أن نوجه خطابا معينا لشعب أو طائفة معينة، لذلك لابد من مراعاة ثقافة المخاطبين و معتقداتهم، لأن كل شعب له أبعاد و حدود خاصة به لا يجب تعديها.

لقد تعددت مفاهيم البعد الاجتماعي بتعدد البيئات و خصائصها، حيث احتلت الأخلاق مكانة سامية في نفوس العرب فكانت مصدر إلهامهم في مختلف حكمهم السائرة و أقوالهم المأثورة و اعتبروها صفة مميزة للإنسان و مقياسا أدبيا صحيحا للأفراد في المجتمع البشري، إذ يرى "مهيار الديلمي" (توفي 428هـ) أن الناس كثيرا ما يجعلون الفقر و الغنى بالمال و الثروة و إنما الفقر و الغنى بالأخلاق لا بالمال و هذا ما جاء في ديوانه إذ يقول في قصيدة يمدح آل أبي عبد اللّه القناني:

كِرَامٌ لاَ يَرَوْنَ العُسْرَ فَقْرًا و فِي العَرْضِ الْغِنَى و الإِفْتِقَارِ[1]

[1]-كمال اليازجي، "في الشعر العربي القديم لأصول الخلقية مكارم أخلاق"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،ص15.

وبذلك كانت الصفات الحميدة محبذة في نفوس العرب مقربة صاحبها منهم فآمنوا بأن الذي لا أخلاق له لا مكانة له وسط المجتمع و مهما شيد و بني كان بناؤه واهي الأساس و في هذا الشأن يقول "صفي الدين الحلي" (ت 750هـ) في ديوانه:

إِذَا عُدِمَ الفَتَى خُلُقًا جَمِيلاً يَسُودُ بِهِ فَلاَ خُلِقَ الجَمَالُ[1]

و ها هو أبو "العتاهية" (ت 210هـ) ينوه عن الأهمية التي يوليها العرب للنسب في المجتمع و المكانة التي يجعلونها للأخلاق في صون الشرف فيقول في ديوانه:

هِيَ الأَعْرَاقُ بِالأَخْلاَقِ تَنْمُو بِقَدْرِ أُصُولِهَا تَزْكُوا الفُرُوعُ[2]

أما "المعري" (ت 449هـ) فقد أورد في ديوانه بيتا يبين فيه للمجتمع أفضلية الأخلاق على التاج لأنها أجل لصاحبها منه فيقول:

أُسَرُّ إِنْ كُنْتُ مَحْمُودًا عَلَى خُلُقٍ و لاَ أُسَرُّ بِأَنِّي الْمَلِكُ مَحْمُودُ[3]

و من خلال هذا يتضح لنا أن حكماء العرب من علماء و أدباء جعلوا الأخلاق دستور حياتهم خاصة منها الاجتماعية و تحديدا في العصر العباسي فقد كان أدباؤه من أهم الدعاة الذين اهتموا بتهذيب النفوس و تربية الأفراد خاصة و أنهم اختلطوا بالأعاجم فأصبح شغلهم الشاغل الحفاظ على مزايا الروح العربية الأصيلة حيث أدركوا أن التربية بالنسبة للفرد عملية تطبيع اجتماعي ينتج عنها اكتسابه الصفة المنشودة التي تساهم في عملية نموه اجتماعيا[4] و قد ظهرت فرق و جماعات تدعو إلى الأخلاق الإسلامية الأصلية فقاموا بثورات لمحاربة الإلحاد و اللهو على رأسهم الحنابلة و كذا المعتزلة الذين قالوا بتحرير العقول و الاعتماد

---

[1]- كمال اليازجي، "في الشعر العربي القديم لأصول الخلقية مكارم أخلاق"، ص14.

[2]- المرجع نفسه، ص15.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

[4]- محمد لبيب النجيحي، " الأسس الاجتماعية للتربية"، ط8، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1981م، ص13.

على التجربة قبل الاعتقاد و عمدوا إلى محاربة الإلحاد الناشئ في قلب الإسلام من جهة و التأثيرات الشعوبية الخبيثة من جهة أخرى [1] فسخر شعرائهم القصائد لهجاء المعتقدات الخاطئة و مهاجمة أصحابها من أمثال " بشار بن برد" و واجهوا الصفات الدخيلة على المجتمع العربي المنافية لطبائعه كالبخل و الجبن و نجد في طليعتهم الجاحظ الذي وجد نفسه في وسط سادت فيه هذه الطبائع و أصبحت مذهبا يعتقد به و فلسفة يدافع عنها بعض الناس فحاول الجاحظ القضاء على البخل والتعصب الذين حملهما العجم في نفوسهم ضد العرب بمحاربته للشعوبية رغبة منه في أن تتآلف الأمم و تتعاون لأن لكل أمة مزايا و نقائص[2].

إذن مما سبق نرى أن الجاحظ عالج عدة قضايا اجتماعية في كثير من كتاباته كالوعظ و الإرشاد في مجال الأخلاق و التربية الفردية و الاجتماعية و هذا بإعادتها إلى الأسس الدينية الإسلامية و العادات التي عرف بها العرب، حيث تفرد الجاحظ بميزة رئيسية وهي اتخاذه المجتمع مادة لقلمه فهو مصور اجتماعي و مرشد أخ ـلاقي بليغ الأثر في النفوس حيث شق بذلك تيارا جديدا اتبعه الكتاب من بعده.

[1]- عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ" دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص28.

[2]- عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، "البيان و التبيين" شرح الدكتور علي بوملحم، دار و مكتبة الهلال، بيروت 1988م،ص 25.

4- مظاهر العمل الاجتماعي في أدب الجاحظ:

جعل الجاحظ دراسة كل مظاهر عصره همه الدائم حيث نظر إلى مجتمعه نظرة ثائر وضعه الإنساني فكان مصدر سخريته و تهكمه خاصًا بذلك من كان انحرافهم مصدرا لاحتقاره الذي يصُبُ فيه حقده المكبوت المتمثل في نظرة فئات الشعب الكادح لمستثمريه هذا من جهة أو ليخدم فكرة دينية أو اتجاها سياسيا يميل إليه لكن هذا ينفي انه قد كان للجاحظ نظرة سديدة جاءت في مجموع كتباته حول اصطلاح المجتمع و تغيير الأفكار و المبادئ الضالة، وقد كان نقد الجاحظ يصب في حقول مختلفة سياسية منها و اجتماعيـــة.

4-أ- الجانب السياسي:

لقد كان الوسط العراقي في العصر العباسي يحيا حياة يسيرة في ظل الرخاء مما أدى إلى انتشار اللّهو فاشتدت الرغبة لكسب المال التي تؤمّن للّهو أسبابه و قد أدى هذا التهافت إلى خلق مختلف الوسائل القبيحة من خيانة و غدر و كل صفة من شأنها الحط من المستوى الإنساني و في هذا الصدد يشير الجـــاحظ إلـى استبداد الجشـع و حـب الاستثمار بأصحاب الوظائف و ينسب إليهم الرشوة و التزلف و الكذب و الغدر و الخيانـــة.

إذ يذكر أن أصحاب النفوذ إنما كانوا يستغلون مناصبهم لفرض الهدايا على الرعّيـة بانتظام و يبين كيف أن القضاة كانوا يسخّرون العدالة لأهوائهم و مطامعهم مثلما أورده الجاحـظ على لسان والد يوصي ابنه قائلا: " **إن هذا المال لم أجمعه...ومن احتيال النهار و مكابدة الليل...إني قد لابست السلاطين و المساكين(بمعني خالطتهم) و خدمت الخلفـــــاء والمكديـن وخالطت النساك والفتاك وعمرت السجون كما عمرت مجالس الذكر...إن اللّه جلّ ذكره لم يسلط القضاة على أموال الأولاد إلا عقوبة للأولاد لان أباه إن كان غنيا قادرا أحب أن يريه غناه وقدرته وإن كان فقيرا عاجزا أحب أن يستريح من شينه (النقص والعيب) فلا هم شكروا من جمع لهم وكفاهم ووقاهم وغرسهم، ولا هم صبروا على من أوجب اللّه حقهم عليهم، والحق لا يوصف عاجله بالحلاوة، كمـا لا يوصف عاجل الباطل بالمرارة، فـإن كنت منهم فالقاضي لك،وان لم تكن منهم فالله لك فإن سلكت سبيلي**

صار مال غيـــــــرك وديعة عندك، و صرت الحافظ على غيرك، وإن خالفت سبيلي صار مالك وديعة عند غيرك وصار غيرك الحافظ عليك، وإنك يوم تطمع أن تضيع مالك،و يحفظه غيرك، لجشع الطمع، مخذول الأمل، احتال الآباء في حبس الأموال على أولادهم بالوقف فاحتالت القضاة على أولادهم بالإستبحاث ما أسرعهم إلى إطلاق الحجر، و إلى إيناس الرشد، إذا أرادوا الشراء منهم، و أبطأهم عنهم، إذا أرادوا أن تكون أموالهم جائزة لصنائعهم".[1]

أما عن السلطة فقد عمد الجاحظ على إبداء أراء قيمة حول مسالة الإمامة و ضرورتها و دورها و مقتضياتها ذلك لأيمانه باعتقاده أن الإنسان سيء بطبيعته أناني فاسد الخلـق لا يفتش إلا عن لذته رغم المظاهر التي يغلف بها غريزته فهو يرى أن السيد المطـــلق الـذي يفرض القانون و يوجه الجماعة نحو خيرها الأسمى يجب أن يكون جديرا بالثقـــة متحليا بالفضائل التي هي أساس اختيار الإمام وهو يري أن الذي يتولى السلطة يجب أن يكـون الوسيط الذي يسعي إلى الانتقال من فكرة الخير الأسمى إلى واجب الفرد في سبيل تحقيقها في المجتمع.

وقد اقترح أن يتولى السلطة ذلك الذي يدنو من المثل الأعلى أكثر من سواه و هذا ما أورده في رسالته حول استحقاق الإمامة.[2]

و بهذا فان الجاحظ آمن بأفكار جعلها سبيلا من سبيل تحسين الحكم و مظاهر السلطة إذ انه رأى أنها لا تقوم إلا إذا كانت بين أيدي رجل تحكمه المثل العليا و أن تخلو سريرته من مختلف الرذائل التي شابت النفس البشرية من خبث و تزلف و خيانة و أن تحقق هذا الشرط فانه سينعكس على الرعايا حيث يؤمن بذلك مجتمع راقي خال من مختلف الرذائـل التي من شانها أن تحط من قيمته. وأن تحدث خللا في مظاهره إذن فالجاحـظ أراد إصلاح السلطة و تسوية أمورها من اجل النهوض بالمجتمع و الرفع من شانه و تطهيره نهائيا إذ

---

[1]- عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، "البخلاء" تحقيق الدكتور محمد ا لإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، 2741هـ/2006م، ص69.

[2]- جميل جبر، " الجاحظ و مجتمع عصره"، (د ط)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص87

تفطن انه أول البلاء الذي يصيب المجتمع،فالحاكم هو البوابة الرئيسية إما للعزة و السؤدد أو الانحطاط و التخلف.

4-ب- الجانب الاجتماعي:

يعتبر أهم جانب اهتم به الجاحظ فجعله مصبا لملاحظاته و نقده المب ريين على عنصر الملاحظة و المعايشة لمختلف ظواهره فتعرض لمسائل عديدة رأى أنها سخيفة تجعل المتحلي بها فاقدا للجانب الأخلاقي الذي من شأنه أن يدفع إلى تقهقر و اندثار هذا المجتمع وأهم هذه المظاهر.

* البخل:

هذه الصفة التي انتشرت في المجتمع العباسي نتيجة الاختلاط العرقي و هي أيضا من نتائج الجشع و حب المال و الإقبال على الدنيا و العكوف على شهواتها فتلوثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق وبعدت عليهم طرق الخير و مسالكه [1] إذ ابتعدوا عن ما جبلت عليه النفس العربية الأصلية وما دعا إليه الدين الإسلامي وقد غاص أبو عثمان في باطن هذه الفئة الاجتماعية فأفرد لهم كتابا خاصا أخذ أسهمهم" البخلاء" حيث أورد فيه كيف أصبح للبخل شأنا فسمى بالصلاح و الاقتصاد و كيف عمد أصحابه إلى الدفاع عن أفكارهم بردها إلى رسول أو الصحابة كما ورد في رسالة سهل من هارون و التي استهل بها كتابه إذ يقول على لسانه "...**عبتموني بقولي لخادمي: أجيدي عجنه خميرا كما أجدته فطيرا ليكون أطيب لطعمه و أزيد في ريعه و قد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمه لأهله& املكوا العجين فإنه أربع الطحينيين...**"[2].

وقد عاب الجاحظ هذه الصفة الذميمة فسخر من أصحابها و أورد نوادرهم خاصة منهم أهل مرو إذ يقول:

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون، "المقدمة"، ص136.

[2]- الجاحظ، " البخلاء"، ص33.

" يقول المروزي للزائر إذ أتاه و لجليس إذا طال جلوسه، تغذيت اليوم فإن قال نعم قال: لولا أنك تغذيت لغذيتك بغذاء طيب و إن قال لا قال لو كنت تغذيت لسقيتك خمسة أقداح فلا يصير في يده على الوجهين قليل و لا كثير"[1].

وقد عجب الجاحظ لطبعهم الغريب و مذهبهم المقيت في الحياة إذ خالفوا ما جاءت به الشريعة الإسلامية و ما طبع عليه العرب من جود و كرم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :إياكم و الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم" وقال الله تعالى في محكم تنزيله(الذين يتخلون و يأمرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) و أنشد بعضهم يقول:

وَهَبْنِي جَمَعْتُ المَالَ ثُمَ خَزَنْتُهُ وَحَانَتْ وَفَاتِي هَلْ أَزَادُ بِهِ عُمْرَا

إِذَا خَزَنَ المَالَ البَخِيلُ فَإِنَهُ سَيُورِثُهُ غَمًّا وَيَعْقِبُهُ وِزْرًا [2]

فالجاحظ عمد في كتابه البخلاء إلى فتح ميدان النقد الاجتماعي و الخلفي حيث تعرض لنفسية البخيل و أظهر عجزه عن إصلاح معايبه بخلق الأعذار المختلفة لبخله [3] إضافة إلى تصوير عام للأخلاق و العادات مما يؤكد لنا نبوغ الجاحظ في دقة المـــلاحظة التي لا تؤتى إلا لمن استطاع إدراك طبيعة النفس الإنسانية و خفاياها.

كل هذا جاء في قالب من النقد اللاذع لهذه الفئة الاجتماعية حيث أنه أراد إصلاحا اجتماعيا فعرض هذه الصفة وأبان قبحها.و المتصفح لكتاب البخلاء يجد نفسه أمام معلم يقود إلى تجنب المعايب و يدفع إلى التفكير الصحيح الذي به ميز البخل و نوصم صاحبه بإعارة و على رأي الدكتور محمد الإسكندراني" كتاب البخلاء كتاب إرشاد وتوجيه كتاب

---

[1]-الجاحظ، "البخلاء"، ص41

[2]-الأبشيهي، "المستطرف في كل فن مستظرف" تحقيق يحي مراد مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، ص268.

[3]-جورج غريب، "الجاحظ دراسة عامة"، ط2، دار الثقافة للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ص26.

إضاءة وتنوير كتاب هداية و تعمير، فهو يهدينا إلى سبيل الرشاد، و يعمر قلوبنا بنور الأخلاق الفاضلة"[1]

*** الشعوذة والتنجيم والخرافات:**

انتشرت هذه الثقافة في عصر الجاحظ حيث احتضنها عامة الشعب فقد كانت هذه الفئة قانعة يجهلها و يروقها هوس العاطفة و تريحها أوهام الخيال.

و قد رأى الجاحظ إن المنجمين من أخطر البوائق التي تصيب المجتمع إذ أنهم يزعمون التنبؤ بالمستقبل واكتشاف الغيب عن طريق الكواكب مما يجعل العامة تستسلم لشعوذتهم حتى واصل بعضهم إلى التشكيك بنبوة الرسول صلى الله عيه وسلم فعمل الجاحظ إلى جعل هذه الفئة الضالة مصدرا لتهكمه و قام بمقارنتهم بالرسل في سبي ل القضاء على المنجمين و المشعوذين بإبراز حقيقتهم فهم ليصيبون الحقيقة بينما الأنبي اء معصومون من الضلال"[2].

و قد حلل سبب إيمان بالمنجمين ذلك بأنهم يتحدثون عن المستقبل وما يزيد مجدهم و تعظيمهم مصادفة الحقيقة لإحدى تنبؤاتهم المزعومة إذ حاول أبو عثمان محاربة هذه الظاهرة المقيتة ومما حمله على هذا لإثبات صحة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا نزعته الفطرية في تحكيم العقل [3] قبل كل شيء فقد عز عليه أن يرى أمة الإسلام تنغمس في هذه الأفكار الرجعية المنافية لما جاءت به الشريعة الإسلامية وما يمليه العقل الواعي للبشريـــة.

---

[1] الجاحظ، "البخلاء" ، ص 17.

[2] جميل جبر، "الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد"، ص47.

[3] المرجع نفسه ، ص ن.

كما عمد الجاحظ إلحاق الدجالين من الأطباء كما سماهم بهذه الفئة حيث أنهم استهب بهم الجشع حتى أنهم يهللون لانتشار المرض حتى تنفتح أمامهم أبواب الرزق [1] و كيف أنهم يتلاعبون بعقول البسطاء فإذا مات مريضهم أرجعوا ذلك للقدر و إذا شفي يجعلون ذلك سببا حصريا لتمكنهم و فعالية عقاقيرهم. و قد قال ساخرا من هؤلاء قال خبرني"ثمامة "عن أمير المؤمنين"المأمون" أنه قال لي"نجتيشوع بن جبريل" و"سلمويه"و"ابن ماسوية"،إن الذباب إذا ذلك به موضوع لسعة الزنب ور سكن، فلسعني زنبور، فحككت على موضوعه أكثر من عشرين ذبابة، فما سكن إلا في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبق في يدي منهم إلا أن يقولوا، كان هذا الزنبور حنقا قاضيا، و لو لا هذا العلاج لقتلك [2] كما حمل الجاحظ على هؤلاء الذين جعلوا الخرافات قوانين حياتهم فآمنوا بها و عملوا بمقتضياتها و قد كانت هذه الظاهرة مصدرا من مصادر سخريته و لم يهمل ذلك في كتاباته. قال" وقد زعم صاحب المنطق(أرسطو) أنه ظهرت حية لها رأسان، فسالت أعرابيا عن ذلك، فزعم أن ذلك حق، فقلت له: من أي جهة الرأسين تسعى؟ ومن أيه ما تأكل وتعض فقال: فأما السعي فلا سعي، ولكن تسعي إلى حاجتها بالتقلب كما يتقلب الصبيان على الرمل، و أما الأكل فإنها تتعشى بفم و تتغذى بفم، و أما العض فإنها تعض برأسيها عنها، فهذا به أكذب البرية، و هذه الأحاديث كلها مما يزيد في الرعب منها و في تهويل أمرها" [3] ومن الخرافات أيضا:" أن الضبع يكون عاما ذكرا و عاما أنثى..."[4] .

وما كان الجاحظ المتحرر المتشكك ليتساهل مع هذه الخرافات الموروثة و لا بتأويلاتها الساذجة إذ أنه كان يخضع كل شيء لسلطان العقل و في سبيل تنديد الأوهام وقتل الخرافات لطالما لجأ الجاحظ إلى السخرية تارة و على التحليل تارة أخرى حيث انه أراد بمعاصريه تغيير نمط تفكيرهم ساعيا بذلك إلى تطويرهم علميا و حضاريا و تقول في

1- جميل جبو، "الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد"، ص47.

[2]-السيد عبد الحليم محمد حسين، " السخرية في أدب الجاحظ"، الدار الجماهيري للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1988م، ص178.

[3]-المرجع نفسه، ص ن.

[4]-المرجع نفسه، ص179.

إحدى المعتقدات " **سقط إلى المفاليس أن الخنافس تجلب الرزق، و أن دنوها دليل على رزق حاضر**" بالإضافة إلى قوله" **إن الشيطان لا يدخل بيتا فيه ديك أبيض عرفه أحمر** " و غيرها من الخرافات التي رأى الجاحظ أن من شأنها التأثير على المعتقدات الدينية الصحيحة.

وقد تعرض الجاحظ لمسائل اجتماعية أخرى كالمعلمين و المرأة و غيرها فإما المعلمين فقد كان لهم نصيب من سخرية الجاحظ حيث وضع لهم رسالة خاصة، ضمنها طرائفهم خاصة من نالت منهم البلاد و سوء التصرف حيث يقول ساخرا من أحدهم"أتت امرأة إلى معلم بابن لها كان المعلم طويل اللحية، فقالت: إن هذا الصبي لا يطيعني، أحب أن تفزعه فأخذ المعلم لحيته وألقاها في فمه وحرك رأسه وصاح صيحة، فضرطت المرأة من الفزع و قالت: إنما فزع الصبي و ليس إياي، فقال لها مري يا حمقاء فإن العذاب إذ نزل هلك الصالح و الطالح" [1] و يمضي الجاحظ في سخريته من المعلمين و كيف نسوا رسالتهم الحقيقية في سبيل أعراض تافهة حيث يقول" قلت لمعلم، لم تضرب غلمانك من غير جرم؟ قال جرمهم أعظم الإجرام، يدعون لي أن أحج، و إن حججت افرقوا في المكاتب فمتى أحج؟أنا مجنون؟"[2]

وقد روى الجاحظ نوادر عديدة نال من خلالها من المعلمين و كيف أنهم يسيئون إلى وظيفتهم نتيجة حقارة نفوسهم إذ يقول" مررت بمعلم و قد كتب لغلام" و إذ لقمان لابنه و هو يا بني، لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا–و أكيد كيدا– فمهل الكافرون أمهلهم رويدا.فقلت و يحك ! لقد أدخلت سورة في سورة، فقال نعم، إذا كان أبوه يدخل شهرا في شهر، فأنا أيضا أدخل سورة في سورة، فلا آخذ شيئا و لا ابنه يتعلم شيئا"[3].

---

[1]-عبد الحليم محمد حسين، " السخرية في أدب الجاحظ"، ص175.

[2]-المرجع نفسه، ص ن.

[3]-المرجع نفسه، ص176.

غير أن الجاحظ إن هزئ بالمعلمين الذين كانوا من الفئة التي ذكر أو ما شابهها، فهو يمتدح غيرهم ممن شرفوا مهنتهم و رفعوها إلى مستوى الرسالة النبيلة إذ أنه لا يسلم مطلقا بقول بعضهم أنه لا ينبغي أبدا أن يؤخذ رأي المعلم أو الراعي أو زير النساء و لا تقبل شهاداتهم في الحاكم"[1] و يواصل دفاعه حيث يقول" أو قد يصبحون خلفاء و سلاطين[2] و هو يرى انه لا يجب أن تحتقر رسالة المعلم لمجرد سخافة بعض المـ ـــعلمين أو سوء تصرفهم.ففي التعليم كما في كل مهنة أخرى، عناصر بارزة و عناصر تزحف في الظلام[3].

و دفاع الجاحظ عن المعلمين بديهي حيث أن للثقافة و التعليم عنده حرمة و مكان رفيع و إنما حمل على المعلمين الذين يسخرون ثقافتهم لابتزاز السذج من الناس. أما العلماء الحقيقيون فكان يرفعهم إلى مقام عالي.

وقد كانت لأبي عثمان آرا ء تصب حول واقع المرأة في المجتمع العباسي حيث أنه من خلال رسالته"في النساء و الرجال" كان يراها مساوية للرجل و قد ابرز حلالها كيف أن للنساء مجالات أبدعت فيها أكثر من الرجل[4] و هو يعترف كيف كان الإسلام العامل الوحيد الذي حسن من و ضعها إلا دعا إلى ضرورة تثقيفها و تحريرها من استبداد الرجل.[5]

كما حاول الجاحظ القضاء على من اعتبرهم لصوص المجتمع خاصة المتسولين ممن يحاولون خداع ذوي العقول الغافلة حيث عمد إلى إبراز حيلهم و كشف خبايا تفكيرهم و كيف أن بعضهم يدعى الجنون و آخرون يدعون و يقول:" **أما الكاغاني فهو من يتصنع الجنون و أما القرسي فهو من يعصب ساقه و ذراعه عصبا شديدا، و يبيت على ذلك ليلة فإذا تورم و اختنق الدم، مسحه بشيء من صابون و دم الأخوين (نبات أحمر) و قطر**

---

[1]- الجاحظ،" البيان والتبيين" ، ص209.

[2]- المرجع نفسه، ص73.

[3]- ينظر: الجاحظ،" البيان والتبيين" ،ص211

[4]- جميل جبر، " الجاحظ و مجتمع عصره"، ص72.

[5]- المرجع نفسه، ص ن.

عليه شيئا من سمن، وأطبق عليه خرقه أو كشف بعضه فلا يشك من رآه أن به الأكــلة أو ما يشبه الأكلة، فيرق قلبه عليه و يعطيه بعض الدراهم".[1]

بالإضافة إلى أبا عثمان قد تعرض للصفات الأخلاقية كالكذب و الجبن و الحسد و غيرها مما تمس أخلاقيات الأفراد حيث انه لمس هذه الصفات فأخذ ينال من أصحابها بسخرية إذ يورد أحاديثهم كحديث أحد المنافقين أحد المنافقين كقوله عن "قاسم التمار" حين أقبل على أصحاب له، و هم يشربون النبيذ وذلك بعد العصر بساعة، فقال لبعضهم،قم صل فأتتك الصلاة ! ثم أمسك عنه ساعة، ثم قال لآخر: قم، صل، و يلك فقد الوقت، فلما أكثر عليهم في ذلك، وهو جالس لا يقوم يصلي، قال له واحد منهم أنت لم لا تصل؟ فأقبل عليه، فقال ليس، و الله، تعرفون أصلي في هذا الوقت، فقالوا و أي شيء أصلك؟ قال، لا نصل لأن هذه المغرب قد جاءت[2] كما سخر الجاحظ عن أبي سعيد الرفاعي حين سئل عن الدنيا الدائسة،(هي كلمة لا أصل لها و إنما اعتمد عليه سائله ليستخرج منه ما يضحك) فقال، أما الدنيا فهذه التي انتم فيها و أما الدائسة فهي دار أخرى بائنة من الدار، و لم يسمع أهلها بهذه الدار و لا بشيء من أمرها، وكذلك نحن لم نسمع بشيء من أمرها إلا انه قد صح عندنا أن بيوتهم من قثاء، و قثاؤهم أيضا من قثاء فقال ـوا له، يا أبا سعيد، زعمت أن أهل تلك الدار لم يسمعـوا بهذه الدار و لا بشيء م ـن أمرها و كذلك نحن لهم، و أراك تخبرنا عنهم بأخبار كثيرة، قال، فمن ثم أعجب زيادة[3] ومن الإدعاء الكاذب أيضا ما ذكره الجاحظ انه سمع رجلا يقول لآخر ضربنا الساعة زنديقا، فقال الجاحظ و أي شيء الزنديق؟ قال الرجل هو الذي يقطع المزيقة، قال له الجاحظ، و كيف علمت أنه يقطع المزيقة قال الرجل رأيته يأكل التين بالخل"[4] وقد تعرض الجاحظ أيضا لصفة الحسد إذ يقول في رسالته" فصل ما بين العداوة و الحسد": "والحسد أخو الكذب يجريان في مضمار واحد، فهما أليفان لا

---

[1]-الجاحظ، "البخلاء"، ص74.

[2]- عبد الحليم محمد حسين، "السخرية في أدب الجاحظ"، ص154.

[3]-المرجع نفسه، ص 165.

[4]-المرجع نفسه، ص ن.

يفترقان و ضجيعان لا يتباينان .... و الحسد لا يبرأ من البهت وكيف يبرا منه و هو عموده الذي عليه يعتمد و أساسه الذي به البناء يعقد.

وانشد:

كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا كَذِبًا وَ زُورًا إِنَهُ لَذَمِيمُ

و الحسد نار وقوده الروح... و يفن الوقود و الحسد لا يبلى... والحسد جوهر العداوة"[1].

وهكذا فإن الجاحظ بنقده الاجتماعي أسس قاعدة إصلاحية مست كل ما لاحظه أبو عثمان من اعوجاج سواء كان فطريا أو اكتسابا و قد عمد الجاحظ إلى إصلاح اجتماعي أخلاقي سياسي سيره على طريقته على طريقته الساخرة أملا منه أن يردع هذا السبيل الأفراد. إذن فالجاحظ لم يكن مصورا اجتماعيا فحسب بل كان أيضا مرشدا أخلاقيا إذ أنه كان يرى أن التصرف الأمثـل هو ذاك الذي يلائم الطبيعة و العـقل و كل ما كان نتيجة للخبث و الاحتيال من غرور و خداع و حسد و جشع و نواقص تحط من الإنسان كإنسان [2] فشن على هؤلاء حملة عنيفة في سبيل إصلاح بشري جدري و إن كان حارب هذه الفئات و الصفات فإنه مدح نقيضاتها من بساطة و كرم و علم و تواضع و لعل أهم ما حمله لإنتاج هذا السبيل أحد أصول المعتزلة الخمسة القائلة" بالأمر المعروف و النهي عن المنكر" [3] و في محاولة لتلخيص آراء الجاحظ غي مجتمعه فإنه كان يرمي من خلال أدبه إلى المحافظة الاجتماعية و التمسك بالفضائل التي يفخر بها المسلم من بر و كرم ووفاء بالوعود واعتدال في طلب اللذة و تسليط الإرادة على الهوى وهي الصفات الرئيسية لتوطيد ركيزة المجتمع الخلقية.

---

[1]- الجاحظ، "مجموع رسائل الجاحظ"، حقق نصوصه و قدم لها و علق عليها محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية للطابعة و النشر، بيروت، ص 172.

[2]-جميل جبر،"الجاحظ و مجتمع عصره"، ص 83.

[3]-المرجع نفسه، ص ن.

الفصل الأول

الفصل الأول

الجاحظ حياته و معالم عصره

المبحث الأول : نبذة عن حياة الجاحظ

1 – اسمه و مولده

2 – نسبه

3 – نشأته و حياته

4 – وفاته

5 – صفاته و أخلاقه

6 – ثقافته و مصادرها

7 – آثاره

8 – مقامه في آراء خصومه و عارفيه

المبحث الثاني : الحياة السياسية و الاجتماعية و الثقافية في عصر الجاحظ

1 – الحياة السياسية

2 – الحياة الاجتماعية

3 – الحياة الثقافية

المبحث الأول: نبذة عن حياة الجاحظ

1- اسمه و مولده:

هو«عمرو بن بحر بن محبوب[1] الكناني الليثي[2] الفقيمي البصري»[3] .

لُقّي بأبي عثمان حيث قال:"نسيت كنيتي ثلاثة أيام حتى أتيت أهلي فقلت لهم بم أكني فقالوا: بأبي عثمان[4] ولقب بالجاحظ و بالحدقي أيضا لنتوء عينيه [5]، إلا أن الأول أكثر تداولا من الثاني.

وقد كان الجاحظ في شبابه غير راض عن هذا اللقب لذا كان يتبرم بمن يدعوه به و يجهد نفسه كي يفهم الناس أن اسمه عمرو [6]، فيقول عنه انه لم يقع في الجاهلية و الإسلام هذا اللقب إلا علي فارس مذكور أو سيد مطاع ،أو رئيس متبوع.[7]

وقد ألف رسالة فيمن سمي من الشعراء بهذا الاسم، و كان كذلك يفتخر بكنيته أبي عثمان، حيث ألف رسالة ذكر فيها ثلاثين شخصا كنيتهم أبو عثمان، وجهها إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب.[8]

---

[1] -رابح الغوبي، "فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب "التربيع و التدوير"و"البخلاء"و"الحيوان"، ديوان المطبوعات الجامعية،1409هـ/1989 ، ص73.

[2] - الجاحظ، "البخلاء"، ص05.

[3] -شارل بـلا، "الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء "، ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر دمشق، 1406هـ/1985، ص99.

[4] - رابح الغوبي، المرجع السابق، ص73.

[5] -المرجع نفسه، ص ن.

[6] - شارل بلا، المرجع السابق، ص99.

[7] -جورج غريب، "الجاحظ دراسة عامة"، ص20.

[8] -المرجع نفسه، ص99.

هذا و قد اقر في شيخوخته بلقبه الجاحظ حيث أطلق على نفسه هذا الاسم ما يعني انه استعمله بنفسه و لم يكن لينزعج منه، إذ تداركته العرب فيما بعد و أصبح لقبا ذا شهرة عالية و شرف في مهنة الأدب، وفي هذه المسالة يروي ال مرزبلني أن الجاحظ ذهب إلى منزل احد أصدقائه المقربين فاستأذن فخرج غلام فقال:الجاحد على الباب ، وسمعها الجاحظ فقال صاحب الدار للغلام:اخرج فانظر من الرجل،فخرج يستخير عن اسمه فقال: أنا الحدقي فدخل الغلام فقال: الحلقي، وسمعها الجاحظ فصاح به في الباب ردنا إلى الأول، يريد أن قوله الجاحد مكان الجاحظ أسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي.[1]

أما فيما يخص مولده فقد تضاربت الآراء واختلفت وجهات النظر،فياقوت الحموي يروي على لسان الجاحظ في كتابه إرشاد الأريب انه قال:"أنا أسن من أبي نواس بسنة ولدت في أول سنة خمسين ومئة وولد في آخرها.

وأما ابن الجوزي فيرجع سنة ميلاده إلى 155هـ[2]،ومنهم من جعل سنة ميلاده 159هـ[3]، وأما شارل بـللا فقد رجع سنة ميلاده إلى 160هـ،و آخرون أرجعوها إلى سنة 163هـ[4].

[1]- شارل بللا، "الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء"، ص100

[2]- المرجع نفسه، ص91

[3]- جورج غريب، "الجاحظ دراسة عامة"، ص08

[4]- الجاحظ، "البخلاء" ،ص05

2- نسبه :

لقد لحق الاضطراب نسب الجاحظ كما لحق مولده، فهناك من مترجميه من جعله كنانيّا قح، وهناك من جعله كنا نيّا بالولاء، فدخل الشك إلى عربية أبي عثمان و تساءل البعض أكان من أسرة عربية سامية أم ن العناصر الإفريقية التي عرفت بالرق.

أشار البعض إلى أن "يموت بن المزرع [1] خال أم الجاحظ و راويه قال:"كان الجاحظ مولا لأبي القلمّس عمرو بن قلع الكناني الفقيمي أحد النسأة [2]،و كان فزارة جد الجاحظ عبدا أسود،وكان جمالا لعمرو بن قلع الكناني"[3] .

فيموت بن المزرع قد اعترف بأن دم الجاحظ لم يكن خالصا من دم الأجناس غير العربية، فنقل عدة أحاديث تدل على ذلك، وذهب العديد من مترجميه إلى هذا الرأي باستثناء "السندوبي" الذي عارضهم بجمع الأدلة و البراهين التي تنفي فرضية هذا الأصل الحقير من جملتها انه في كل ما روي عنه كان شديدا العصبية للعرب[4].

فمن اطلع على آرائه يتبادر إل ى ذهنه أنه شخص عربي صريح إذ يذكر مهاجمته للأمويين في رسالة يقول فيها : ..." **ثم قرنوا بذلك العصبية التي هلك بها عالم،و الحمية التي لاتبقى دينا إلا أفسدته، ولا دنيا إلا أهلكتها ، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية، وما قد صار إليه الموالي من فخر على العجم و العرب، وقد نجمت من الموالي**

---

[1]- هو يموت بن المزرع البصري كان من العلماء من الأدباء و الرواة وله شعر مأثور تتلمذ على يد الجاحظ ،توفي سنة 204هـ (ينظر عبد المنعم خفاجي، " الجاحظ" دار الكتاب اللبناني بيروت، سنة 1982، ص28)

[2]- هو ابو القلمّس عمرو بن قلع بن عياد بن القلمّس كان من الحكماء العرب و ذوي الرأي فيهم وأول من نسأ الشهور على العرب في الجاهلية وورث أبناؤه هذه المفخرة التي حرمها القرآن،(ينظر عبد المنعم خفاجي، " الجاحظ"، ص54)

[3]- شارل بلا، "الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء"، ص94

[4]- المرجع نفسه، ص96

ناجمة ونبتت منهم نابتة تزعم أن المولي بولا ء قد صار عربيا لقول النبي صلى الله عليه و سلم: "مولى القوم منهم".

و لقوله: "**الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب...**"[1] كما أنه قام بتأليف رسالة اسماها "العرب و الموالي" يقول فيها:"**و زعمت أني بخست الموالي حقوقهم،كما أني أعطيت العرب ما ليس لهم**"[2].

إضافة إلى هذا فهو يعادي الموالي ذوي الأصل الإ يراني غير الأرقاء،وأما في مسألة قيام جده فزارة على ابل عمرو بن قلع فيرجعها السندوبي إلى خبرته و حسن القيام عليها لا غير،و السواد لا يمكن اعتباره دليل على أعجميته،فقد كان سائدا عند العرب غير مقتصر على العجم فقط [3].ومن هنا قطع بعض العرب المحققين القدامى بكنايته أبي عثمان الصليبية،ونسبه الخالص،فخالفوا بذلك قول الذاهبين إلى الاعتقاد بولائه.

[1]-شارل بلا، " الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء"،ص98

[2]-المرجع نفسه، ص99

[3]-جورج غريب، "الجاحظ دراسة عامة"، ص18

3- نشأته و حياته:

نشأ الجاحظ في أسرة فقيرة،توفي والده و هو صغير ،فاضطر إلى بيع السمك و الخبز متجولا في أحياء البصرة بجوار سيحان أحد أنهارها، فسهلت له هذه التجارة العيش،و طلب العلم في الكتاب والمساجد ليستمع إلى الأحاديث و المناظرات التي كانت تدور هناك ،فخالط العلماء و الأدباء، واكتري حوانيت الوراقين للمطالعة و كان يتردد على المربد ليسمع الخطب و الشعر،وكان يقرأ ما صدر من المؤلفات و ما ترجم من الكتب اليونانية إلى العربية[1].

وهكذا راح يجمع بين العلم و العمل لكن حرصه على الأول كان أكثر مما سبب لأمه الضيق و البؤس، فجاءته في أحد الأيام بطبق من الكراريس، وقد طلب منها الأكل فقال ما هذا؟ قالت هذا الذي تجيء به، فخرج من منزله مغموما و جلس في جامع البصرة،و يونس بن عمران جالس ، فلما رآه مغتما قال له،ما شأنك فحدثه الحديث،فأخذه معه إلى منزله،وقرب إليه الطعام و أعطاه خمسين دينارا، فدخل السوق و اشترى الدقيق و غيره، وحمله الحمالون إلى داره فعجبت الأم من ذلك وقالت :من أين لك هذا ؟ قال من الكراريس التي قدمتها إلي[2].

ومع الأيام أصبح له نصيب واسع من الثقافة، واتسعت ملكته الفكرية لتلم بمختلف علوم عصره، وجوانبه الثقافية بيد أن نشأته في البصرة لم تمنعه من زيارة سواها،فقصد بغداد واتصل بعلماء اللغة والكلام و تأثر بهم فسار على نهجهم فلمع اسمه في دنيا الثقافة و طارت شهرته حتى بلغت قصر الخليفة المأمون[3] الذي قرأ له كتاب"الإمامة فأعجب به ودعاه للإقامة في ديوان الرسائل، لكنه لم يمكث في هذا الديوان أكثر من ثلاثة أيام حيث تـــــرك

---

[1]- جورج غريب،" الجاحظ دراسة عامة"، ص9

[2]- رابح الغوبي، "فن السخرية في أدب الجاحظ"، ص74

[3]- هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ولد سنة 197هـ تولى الخلافة بعد أن قاتل أخاه الأمين عليها ،مال إلى الاعتزاليين وثار على معاوية بن أبي سفيان وقد ألف الجاحظ رسالة في الإمارة بأمره،أحب الفرس ولم يكتسب ود العرب،غلب البزنطيين بالقرب من طرطوس في عصره ازدهرت العلوم و الفنون الإسلامية و الترجمة و توفي سنة 217هـ(ينظر الغوبي رابح، مرجع سابق ص67)

أبواب القصر التي يسودها الملق و التصنع و راح يكتب وينقد و يسخر كما يشاء...[1]
ومرت الأيام... و تولى المعتصم بن الرشيد[2] الخلافة و كان وزير المعتصم"محمد عبد الملك الزيات[3]" أحد المعجبين بأبي عثمان الجاحظ و المقدرين لأعماله، و ذلك بما اختص به من المعارف الواسعة و إخلاصه ووفائه فنال عطاياه مما أتاح له السفر إلي بلاد الشام و مصر،وتنقل بين استشارة و سؤال أهل العلم و الخبرة و بين التجربة المباشرة إلى دراسة آثار السابقين و المعاصرين...وبعد تولي المتوكل[4] الخلافة أشاء نفوذ القاضي محمد بن أبي دؤاد و أسقط الوزير الزيات و كاد الجاحظ أن يلحق به لولا أن حالفه الحظ وقربه القاضي منه فقدم له كتاب "البيان و التبيين" حتى أصيب القاضي بالفالج فلزم الجاحظ ابنه "أبا الوليد" إلى أن صرف عن القضاء ، و ج ـاء من خلفه " الفتح بن خاقان" [5] فأصبح الجاحظ وثيق الصلة به فلزمه أيضا وقدم له بعض رسائله و كتبه.

[1] الدكتور فاروق سعد، "مع بخلاء الجاحظ دراسة تحليلية مقارنة"، ط6، دار الآفاق الجديدة بيروت، سنة 1413هـ/1992 ص12

[2] هو المعتصم بالله محمد هارون الرشيد ولد سنة 795/180 وتوفي سنة 842/227 و هو الخليفة العباسي الثامن مال إلى مذهب المعتزلة أخذ ربطة و عمورية من الروم نقل عاصمة الخلافة من بغداد إلى سامراء وجعل جند الخلافة من الأتراك مما تسبب في تقهقر الخلافة العباسية (أنظر الغوبي رابح ، مرجع سابق،ص85)

[3] هو الوزير أبو جعر الزيات أحب الأدب وقال الشعر توصل بالكتابة إلى أن اتصل بالمعتصم فأصبح وزيرا مات سنة 232هـ (أنظر البخلاء للجاحظ تح الإسكندراني)

[4] هو جعفر المتوكل بن المعتصم بالله بويع سنة 232هـ بعد أخيه الواثق قتل سنة 247هـ (أنظر البخلاء للجاحظ، ص6)

[5] الفتح بن خاقان الأمير أبو محمد التركي الكاتب وزير المتوكل ،كان فصيحا شاعرا محسنا موصوفا بالسخاء و الكرم و الرئاسة وكان المتوكل لا يصبر عنه استوزره و قدمه وأمره على الشام ،قتل هو و المتوكل سنة 247هـ(أنظر البخلاء، ص6)

و هكذا قد أشرق له الحظ، فراح يتنقل بين البلدان ليزداد خبرة ومعرفة حيث تمكن من خلال تلك الجولات و الرحلات من تغذية نفسه بنزعة التطلع و المعرفة الواسعة و المتنوعة...لكن كبر السن و المرض الذي أصيب به الجاحظ حملاه على الرجوع إلى البصرة مسقط رأسه ليقضي فيها بقية عمره يصارع المرض الذي لم يبعده عن الكتابة و التأليف و لم يحل بينه و بين المطالعة و البحث[1].

4- وفاته:

لقد أشرنا آنفا إلى أنه قد تضاربت الآراء و اختلفت حول سنة ميلاد الجاحظ و كذا الحال حول سنة وفاته و أشار معظمهم إلى أنه توفي في البصرة في شهر محرم [2] سنة 255هـ[3]/يناير 868م[4].

يرجع سبب وفاته إلى داء الفالج الذي أصيب به،وذلك لجمعه بين السمك و اللبن على مائدة أحمد بن أبي داؤد لاسيما و أنه كان يشكو هذا المرض من قبل [5]. و روي أن المبرد تلميذه قد عاده في مرضه فقال له الجاحظ: " أنا من جانبي الأيسر مفلوج(مشلول) فلو قرض

---

[1] الدكتور فاروق سعد، "مع بخلاء الجاحظ دراسة تحليلية مقارنة "، ص15

[2] عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ" ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص259

[3] فؤاد افرام البستاني "الروائع للجاحظ" منشورات دار الشرق ،بيروت، ص21

[4] عبد المنعم خفاجي،"الجاحظ"، ص259

[5] جورج غريب، "الجاحظ دراسة عامة"، ص14

بالمقاريض ما علمت، و من جانبي الأيمن منقرس(مصاب بالروماتيزم) فلو مر بي الذباب لألمت وبي حصاة لا ينسرح لي بول معها ،وأشد ما على ست وتسعون سنة و أنشد:

أَتَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَ أَنْتَ شَيْخٌ كَمَا قَدْ كُنْتَ أَيَّامَ الشَبَابِ

لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبَ دَرِيسٌ كَالْجَدِيدِ مِنَ الثِيَابِ[1]

و يقال أنه شك ى يوما لطبيب علته فقال: "قد اصطلحت الأضداد على جسدي، إن أكلت باردا أخذ برجلي، وإن أكلت حارا أخذ برأسي".

و جاء في أدب الجاحظ للسندوبي أن بعض البرامكة لما عزل من السند[2] قال: " **ركبت البحر و انحدرت إلى البصرة ، فخبرت أن الجاحظ بها و أنه عليل بالفالج ، فأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت إليه فأفضيت إلى باب دار لطيف ففزعته، فخرجت إلى جارية صفراء ، فقالت : من أنت؟ فقلت : رجل غريب و أحب أن أسر بالنظر إلى الشيخ فبلغته الخادمة ما قال ،فسمعه يقول : "قولي له و ما تصنع بشق مائل ، ولعاب سائل، ولون حائل" فقلت لابد من الوصول إليه، فلما بلغته قال: "هذا رجل قد اجتاز البصرة وسمع علي فقال أحب أن أراه قبل موته فأقول قد رأيت الجاحظ"**[3] .

و هناك رواية أخرى عن موته مفادها أن سقوط الكتب و المجلدات عليه أخمدت في صدره الأنفاس فقتلته.

---

[1] – جبر جميل،" الجاحظ و مجتمع عصره"، ص14

[2] – السند مقاطعة في باكستان الغربية تحدها الهند شرقا و يجتازها نهر هندوس فتحها محمد قاسم الثقفي ،عاصمتها كراتشي (ينظر الجاحظ، "البخلاء"، ص13)

[3] – عبد المنعم خفاجي،" الجاحظ"، ص84 .

هكذا و قد حزن عليه أناس عديدون و على رأسهم الخليفة المعتز [1] فأسف عليه أسفا شديدا، إذ قال ليزيد بن محمد المهلبي :"يا يزيد ورد خبر بموت الجاحظ" فقال يزيد "لأمير المؤمنين طول البقاء و دوام النعماء"،فقال المعتز:"لقد كنت أحب أن أشخصه إلي وأن يقيم عندي".فقال المهلبي:إنه كان قبل موته عطلا بالفالج"[2].

5- صفاته و أخلاقه :

عرف عن الجاحظ دمامة خلقه ،ذا مظهر قبيح و قامة قصيرة و عينين جاحظتين ،ولقد كان يضرب به المثل ببشاعته،إذ قال مخلد بن علي السلامي في هجاء إبراهيم بن المدبر:

رَأَيْتُكَ لاَ تُحِبُ الوَدَّ إلاَ إذَا هُوَ كَانَ مِنْ عَصَبٍ وَ جِلْدِ

أَرَانِي اللهَ وَجْهَكَ جَاحِظِيًا وَعَيْنَيْكَ عَيْنَ بَشَارِ بنُ بُرْدِ[3]

وجاء في شذرات الذهب أن الجاحظ نفسه يقول:

"ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده، فلما رآني استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم و صرفني..."[4] .

وقال أحد الشعراء فيه:

---

[1]- هو أبو عبد الله المعتز الخليفة العباسي الثالث عشر تولى الخلافة سنة 252هـ ثم تسلط عليه القواد الأتراك و أخذت الأزمة المالية بخناق الدولة فعجز عن حل مشاكلها فخلع فمات جوعا في السجن سنة 255هـ.(نظر الغوبي رابح،"فن السخرية في أدب الجاحظ"، ص87)

[2]- المرجع نفسه، ص ن

[3]- جورج غريب ، "الجاحظ دراسة عامة"، ص20

[4]- عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ"، ص 78

لَوْ يَمْسَخُ الخِنْزِيرُ مَسْخًا ثَانِيًا مَا كَانَ إِلاَ دُونَ قُبْحِ الجَاحِظْ

رَجُلٌ يَنُوبُ عَنِ الجَحِيمِ بِنَفْسِهِ وَ هُوَ القَذَى فِي كُلِ طَرَفٍ لاَحَظَ[1].

هكذا تعددت النوادر حول قبح الجاحظ و بشاعة منظره، نذكر منها أنه رأى في أحد الأيام امرأة في العسكر(هو موضع في سمراء) وكانت طويلة القامة وكان هو على طعام فأراد أن يمازحها فقال :"**أنزلي كلي معنا** "،**فقالت**" **أصعد أنت كي ترى الدنيا**"[2]

يدل هذا القول على أنه كان قصير القامة ،وهناك قصة أخري حيث قال:"ما أخجلني إلا امرأة مرت بي إلى صائغ فقالت له: اعمل مثل هذا ، فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال:هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان،فقلت:لا أدري كيف أصوره فأتيت بك لأصوره على صورتك[3].

ومع هذا يشهد له العام و الخاص إخلاصه للفكر و الثقافة، و غوصه في أعماق المعرفة و الدراسة و البحث و هو رجل فكر واثق بنفسه، حريص على كرامته، معتز بقيمته...وإذا ما انتقلنا إلى نطاقه الداخلي، رأينا فيه الرجل المحب للحياة، المقبل عليها المحترم للعقل، الميال إلى التفاؤل دوما، بادية عليه الدعابة و المرح و خفة الروح، فهو مطبوع على الظرف و الفكاهة.

كما نجده خبيرا بطبائع الناس و أخلاقهم، نظرا لتجربته الواسعة في الحياة ودقة ملاحظته فكان ينقد ويضحك ويوجه.[4]

---

[1]- جورج غريب، "الجاحظ دراسة عامة"، ص20.

[2]- فاروق سعد، "مع بخلاء الجاحظ دراسة تحليلية مقارنة"، ص12.

[3]- شارل بلا،" الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء"، ص103.

[4]- رابح الغوبي، "فن السخرية في أدب الجاحظ"، ص86.

في المقدمة التي وضعها في كتاب " البيان والتبيين " لطبيعة الجاحظ فيقول :"... وكانت بالجاحظ أنانية ، فكان يرى نفسه حقيقا بأن يستأثر بكل ما في الحياة من متع وجاه عريض . ولا يرى غيره أحق بشيء منها فما لجأ إليه ذو حاجة إلا جعل لسانه حائلا دون قضائها ، ولا استعان به مستعين إلا كور قلبه بجمر الخذلان حتى لقد هوجي . من خاصة أصدقائه على هذه الحال شر هجاء [1]. فهو بذلك يضع مكانة هامة لحياته الخاصة ويرى نفسه أفضل ممن سواه.

هي صفات وخصال اشتهر بها الجاحظ وميزته عن باقي أدباء عصره، فارتفعت منزلته بينهم وعظمت مكانته، وتنوعت ثقافته، فكان عالما فوق العلماء، وعد أوسع أهل زمانه ثقافة و أكثرهم إطلاعا على المعارف بأنواعها.

6- ثقافته و مصادرها:

أخذ الجاحظ ثقافته في حداثته من كتاب الحي وحلقات المساجد إذ تلقى معارفه الأ ولى رفقة أولاد القصرابين أصحاب الطبقة الدنيا إلا انه على خلافهم راح ينهل من ينابيع المعرفة من حلقات المساجد خاصة المسجد الجامع الذي يمثل أصدق تمثيل الحياة الثقافية والعقلية للمجتمع البصري هذا فضلا عن لقاءه للخطباء والفصحاء والشعراء في المربد [2]، فلقد سمـع أبو عثمان من أكابر علماء عصره وأخذ الفصاحة عنهم بالإضافـة إلى ميله الشديد إلـى القراءة فكان يكتري دكاكين الوراقين فيحتبس فيها ليلا للمطالعة وكان لا يقع كتاب في يده إلا قرأه [3] وقد جمع بين مذاهب الأدب والدين والفلسفة على أيدي طائفة من العلماء الذين

1- محمد علي الخطيب، "الصراع الأدبي مع الشعوبية، الجاحظ و الشاعر القروي"دار الحداثة لطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1983، ص05.

2- رابح الغوبي، "فن السخرية في أدب الجاحظ"، ص

3- جورج غريب،" الجاحظ دراسة عامة"، ص 25.

كان لهم اثر واضح في نمو عله وقد جاء في معجم الأدباء لياقوت أن الجاحظ سمع من أبي عبيدة والأصمعي و أبي زيد الأنصاري وأخذ النحو عن الأخفش والكلام عن النظام وتقلى الفصاحة من العرب شفاها بالمربد. بالإضافة إلى هؤلاء جماعة من الفقهاء كأبي يوسف ويزيد بن هارون السري وابن عبدوي هـ[1] على أن الذي ترك فيه ابلغ اثر هو إبراهيم النظام الذي وجه أفكار الجاحظ نحو الاعتزال وعودة حرية التفكير [2] فعاش لسانا للمعتزلة ، مدافعا عنها، مناصرا لها موضحا أرائها ومذاهبها الفكرية والروحية واقفا في وجه من يعترض للمذهب ورجاله فبين وشرح نظرياتها كنظرية الحسن والقبح وخلق القرآن [3] كما نوه بالخلفاء العباسيين ، الذين حملوا فكرة الاعتزال ودافعو عنها ونشروها بنفوذهم وسلطانهم كالمأمون والمعتصم والواثق[4] فكان الجاحظ إماما من أئمة المعتزلة وشيخا من كبار شيوخها وعلما من أشهر أعلامها إلا انه انفرد بآراء خاصة عنهم بأفكار محايدة فكانت بذلك فرقته الجاحضية[5].

---

[1]- جورج غريب،" الجاحظ دراسة عامة"، ص 25.

[2]- شارل بلا، "الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء"، ص 118.

[3]- عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ"، ص 154.

[4]- هو أبو جعفر وقيل أبو القاسم، ابن المعتصم بالله، دعا الناس إلى القول بخلق القران ارجع ذلك قبل موته دامت خلافته خمس سنين ونصف، مات سنة 232 هـ.(ينظر الجاحظ، "البخلاء"، ص6)

[5]- عبد المنعم خفاجي ، المرجع السابق ، ص 145

و بما أن أبا عثمان عاش فترة واكبت نمو الدولة العباسية فاكتما لها فازدهارها حين أصبحت الحضارة الإسلامية معينا خصبا لتمثيل التيارات الفكرية الأجنبية على اختلافها و تباينها فقد تأثر بالفارسية حيث انه أشار إلى بعض ألفاظها في كتبه إذ عمد في كتاب البخلاء إلى ترجمة قول أحد بخلاء مرو إلى اللهجة الفارسية [1] وقد أكد السندوبي معرفة الجاحظ لهذه الثقافة في كتابه أدب الجاحظ حين قال :" ويؤخذ من مجمل حاله انه كان يجيد اللغة الفارسية ، فان متصفح رسالته التربيع والتدوير وكتاب الحيوان والبيان والتبيين ، وغيرها من مصنفاته لا يسعه إلا الخروج منها ممتل ئ النفس بإحسان الجاحظ لهذه اللغة" [2] ودرايته للفارسية ساعدته على الاتصال بالثقافة الهندية التي قرأ فيها ونقل عنها ، كما اهتم كذلك بالثقافة اليونانية عن طريق الترجمة فقرأ علومهم من فلسفة وحكمة و طب و غيرها [3] وقد بدا جليا تأثره بها من خلال كتاب الحيوان لأرسطو الذي اعتمد عليه كمصدر أساسي في مؤلفه الحيوان بالإضافة إلى كتب جالينوس وأفلاطون وآخرون [4] . هذا وقد لعب ا لأتراك دورا بالغ الأهمية في التأثير على حياة أبي عثمان وبالتالي على أدبه ولعل الكتاب الذي ألفه في فضائل الأتراك في عهد المعتصم لدليل قاطع على غوصه في بحر الثقافة التركية والتأثر بها[5].

هذه إذا هي ثقافة الجاحظ المتسمة بالشمول والاتساع لاطلاعه الكبير على نواحي علوم عصره المختلفة نتيجة لعدة عوامل أهمها ظهور الترجمة [6] التي سهلت للأدباء الاطلاع الاطلاع على ثقافات غيرهم .

---

[1]- عبد المنعم خفاجي،"الجاحظ"، ص 112.

[2] -شارل بللا، "الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء" ، ص 115 .

[3]- عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق ، ص 113 .

[4]- جبر جميل، "الجاحظ و مجتمع عصره"، ص 17.

[5]-زكريا كتابجي، " الترك في مؤلفات الجاحظ " ، دار الثقافة ، بيروت د ط ، سنة 1972 ، ص 216 .

[6]-جورج غريب،"الجاحظ دراسة عامة"، ص 35 .

7- آثاره :

لقد كان الجاحظ من أهم من اغنوا المكتبة العربية بكتبه القيمة فهو لم يدع بابا إلا ولجه ولا بحثا إلا جال فيه فقد كان له من الثقافة الموسوعية ما جعله يكتب في كل فروع العلم والآداب والسياسة والدين والفلسفة واللاهوت ، حيث كانت مؤلفاته مادة لمن يؤرخ للفرق الدينية في المذاهب الفلسفية والتيارات الإيديولوجية وهي أيضا مرآة تعكس التفكير العربي منذ ازدهار حضارته العباسية فضلا عما تحتويه مت تأريخ ونقد وسائر العلوم اللسانية والجمالية[1] حتى قال ابن العميد في آثاره :" كتب الجاحظ تعلم العقل أولا و الأدب ثانيا "[2].

فكان بذلك أكثر الأدباء إنتاجا حتى زعم ابن الجوزي أن كتبه بلغت 360 كتابا[3] وعدها ياقوت الحموي في معجم الأدباء وقال أنها 120 مؤلفا[4] وآراء عديدة مختلفة و هذا راجع إلى إلى ضياع بعض مؤلفاته بالإضافة إلى أن المحدثين من عصره لجأ إلى نحله كتبهم هذا فضلا عما نحاه هو من مؤلفاته إلى بعض الأدباء في مستهل سيرته الإنتاجية و قد كانت لكتبه مميزات جعلت منه من أعيان المؤلفين العرب يقول المسعودي عن مؤلفاته :" كتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان وتكشف واضح البرهان لأنه نظمها أحسن نظم و رصفها أحسن رصف وكساها من كلامه أجزل لفظ ... " [5] وقد تنوعت مؤلفاته بين كتب ورسائل وتباينت في الحجم والكبر ومنها كتاب التربيع والتدوير ، البخلاء ، الحيوان ، البيان والتبيين ، كتاب أي القرآن ، رسالة في الميراث، ذم الزنا و النبيذ ، كتاب أخلاق الملوك ، الاعتزال و فضله وكتاب حيل

---

[1]- عبد السلام المسدي " قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون " الشركة التونسية للتوزيع، د ط ، 1989 ، ص 97.

[2]-فؤاد افرام البستاني، "الروائع للجاحظ"، ص 11.

[3]- جبر جميل، "الجاحظ و مجتمع عصره"، ، ص 16.

[4]- عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ"، ص 285.

[5]- جورج غريب ، "الجاحظ دراسة عامة"، ص 39.

اللصوص ، رسالة في ذم أخلاق الكتاب ، كتب في الرد على العثمانية والمشبهة واليهود، كتاب مفاخرة السودان والحم ران، رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة فرق ما بين النبي و المتنبي ، البرصان والعرجاء والعميان والحولان ، كتاب الدلالة على أن الإمامة فرض، كتاب حيل المكدين.... و غيرها من الكتب والرسائل المختلفة أما الكتب التي نسبت للجاحظ وليست له فكثيرة أيضا منها كتاب الإبل ، كتاب التاج ، كتاب العريف بم ـناظرة الربيع و الخريف و غيرها ... [1].

8- مقامه في أراء خصومه وعارفيه :

لا نستغرب بعد أن فرضت شخصية الجاحظ سلطانها على العقول والقلوب أن يكون هناك جدال وآراء متضاربة حوله، فراح البعض منهم يبالغون في انتقاده مثال ابن قتيبة الدينوري وأبو العباس ثعلب والبديع الهمذاني والقاضي الباقلاني[2].

فابن قتيبة مثلا كان يكره الاعتزال والمعتزلة وهو من أهل السنة وليس على جانب كبير من الحرية الفكرية التي كانت لدى الجاحظ فلا شك أن تكون آراءه مخالفة لآراء الجاحظ الاعتزالية[3].

أما أبو العباس ثعلب(200 هـ - 291 هـ) فكان من أئمة الكوفيين في النحو واللغة والأدب ولا يخفى على احد منا الجدال الذي كان قائم بين الكوفيين والبصريين فتحامل بذالك على الجاحظ إذ قال فيه:" امسكوا عن ذكر الجاحظ فانه عن غير ثقة "[4].

---

[1]- جورج غريب ، "الجاحظ دراسة عامة"، ص 41 .

[2]- المرجع نفسه، ص 23 .

[3]- عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ"، ص 277 .

[4]- المرجع نفسه، ص 279 .

أما نقد بديع الزمان الهمذاني (398) للجاحظ تجلى في المقامة التي سماها "المقامة الجاحظية "، إذ غاب عليه بعده عن البلاغة والتصنع من استعارات وإشادات ويمكن القول في هذا الشأن أن البلاغة ليست المصنوعة ، ولا يكون هذا النقد سوى من باب افتخار البديع بنفسه على حساب الجاحظ.[1]

هذا وقد أشار سواهم إلى بعض أخطائه أمثال " علي بن يحي المنجم المسعودي " قال :" زعم الجاحظ أن نهر مكران الذي هو نهر السند ، من النيل ، ويستدل على ذلك بوجود تماسيح فيه " فنفى القول واستنكره[2].

فنظم أبو كريمة البصري أبياتا عاتب فيها أبو عثمان:

لَمْ يَظْلِمْ اللهُ عُمَرَا حِينَ صَيَّرَهُ مِنْ كُلِ شَيءٍ سِوَى آدَابِهِ عَارِى

إِنِي أُعِيذُكَ وَالمُعْتَادُ مُحْتَرِسٌ مِنْ شُؤْمِ عُمْرُو بِغَرِ الخَالِقِ البَارِئِ[3]

ولم يقف خصومه عند هذا الحد من الحملات والنقد بل تعدوهما إلى حد اتهامه بالزندقة ، فبحكم أن الجاحظ كان المعتزلة ، فقد سار على نهجهم و اعتمد على العقل وحرية التفكير إذ كان يرد أحاديث عديدة للكثير من علماء التفسير من غير المعتزلة كالسنيين والصوفيين فيجهلهم ويسخر منهم ، فلا عجب أن ينقم عنه رجال الدين ويرموه بالفاحشة ، بل يتهموه بصنع الحديث وهو في نظرهم زنديق وكافر .

[1]- عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ"، ص 280 .

[2]- جورج غريب،" الجاحظ دراسة عامة"، ص 23 .

[3]- عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق ، ص 275 .

قال فتي الجمار راميا إياه بالكفر:

يَا فَتَى نَفْسُهُ إِلَى مَلَكَةِ الكُفْرِ تَابِقَةٌ
لَكَ فِي الفَضْلِ وَالتَّرَهُّ دْ وَالتَّنْسِكِ سَابِقَةٌ
فَدَعِ الكُفْرَ جَانِبًا يَادَاعِي الزَّنَادِقَةِ[1] .

على أن الجاحظ لم يكن كما صوره رجال الدين في عصره ، فهو و إن لم يكن من القامتين أو من أصحاب الإيمان المطلق الذين لا يحتكمون إلى العقل ، فقد رأينا في الكثير من أقواله تشبعه بالعاطفة الدينية ، وذكره اسم الله بالتعظيم و الثناء ، وكتابه الحيوان لم يكن إلا للاستدلال على حكمة الخالق العظيمة في خلقه ، وهو يفضل كتب الله على غيرها إذا ذكر محمدا صلي الله عليه وسلم رأى فيه إمام الفصحاء ، أما التهاون بالصلوات فقد عرف هذا عند الكثيرين من غير الكافرين [2] .

ولهذا فإنه لم يصل الهزء والاعتزال بأبي عثمان إلى حد الزندقة .

وفي مقابل هذا هناك العديد ممن يشهدون للجاحظ براعته في التأليف وسعة ثقافته و غزارة علمه، فلقي منهم الثناء والتقدير، إذ كان الناس في زمانه يتلهفون ش وقا لـلاستماع منه ومطالعة ما يكتب بلذة.

نال من الشهرة والتألق ما لم ينله غيره حتى راح الأدباء ينحلونه كتبهم لتروج كما كان يفعل في أول الأمر.[3]

فكثر عارفوا مقامه و أصبح سيد كتاب العربية في نظرهم وتعددت الأقوال في شأنه

فها هو أبو إسحاق النظام يمدحه في أبيات شعرية فيقول فيها:

---

[1] – عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ"، ص 275.

[2] – بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأعصر العباسية ، دار المكشوف ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 6 ، 1968 ، ص 266 .

[3] – جورج غريب، "الجاحظ دراسة عامة"، ص 31 .

حُبِيَّ لِعَمْرُو جَوْهَرٌ ثَابِتٌ وَحُبَهُ لِي عَرَضٌ زَائِلٌ

بِهِ جِهَاتِي السِّتُ مَشْغُولَةٌ وَهُوَ إِلَى غَيْرِي بِهَا هَائِلٌ [1]

ويقول أبو القاسم الإسكافي: " استظهاري على البلاغة بثلاثة: القرآن وكلام الجاحظ وشعر البحتري"[2] في مروج الذهب.

ولقد أكثر الجاحظ من التأليف وتعددت مواضيعه في الكتابة حتى قال عنه المسعودي : "ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتابا منه وكان له وراق خاص اسمه ابن زكريا"[3].

ويقول ياقوت في معجمه: " كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام وكان واسع العلم بالكلام كثير التبحر فيه ش ديد الضبط لحدوده ومن اعلم الناس به وبغيره من علماء الدين والدنيا "[4]. هذا ولم يخل كتاب من كتب الأدب والتاريخ النقد والشعر من الجاحظ وأدبه وبلاغته وتأليفه فتتبع العديد من تلامذته منهجه وسلكو ا طريقه أمثال " أبن العميد " الذي سمي بالجاحظ الثاني وتتلمذ أدباء كثر أمثال المبرد و ابن عبد ربه و أبو القاسم ا لآمدي و غيرهم كثر[5].

---

[1]- عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ"، ص 262 .

[2]- المرجع نفسه ص 263 .

[3]- عبد حليم محمد حسين، "السخرية في أدب الجاحظ"، ص 44.

[4]- المرجع نفسه ، ص 39.

[5]- عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص 268

المبحث الثاني: الحياة السياسية و الاجتماعية و الثقافية في عصر الجاحظ

شهدت الحياة السياسية و الاجتماعية والثقافية في عصر الجاحظ خلال العصر العباسي تموجات مختلفة أدت إلى التأثير في ثقافة الجاحظ و أخلاقه و مذاهبه و سوف نقوم برصد جانب من هذه الحياة التي عاشها الجاحظ في ميادينها المختلفة.

1- الحياة السياسية:

كان الجاحظ من مواليد العصر العباسي حيث أنه عاش حياته في" العصر العباسي الأول و شطرا من العصر العباسي الثاني، فقد عاصر من خلفاء بني العباس:الرشيد، و الأمين، و المأمون،و المعتصم، و الواثق،و المتوكل"[1].

ويرى المؤرخون أن العهد العباسي مر بعدة عصور و هي كالتالي:

1- أ- العصر العباسي الأول(132هـ - 232هـ):

و يعد هذا العصر من أزهى العصور و خصوصا في فتراته الأخيرة إذ أطلق عليه المؤرخون اسم "العصر الذهبي، ففيه توطدت أركان الدولة، و تم التخلص من المارقين عن الدولة، و تعاقب عليه تسعة خلفاء: السفاح(136هـ)، والمنصور(158هـ)، و المهدي(169هـ)، والهادي(170هـ)، والرشيد(193هـ)، والأمين(198هـ)،و المأمون(218هـ)،و المعتصم(227هـ)، و الواثق(232هـ)"[2].

وقد عرف هذا العصر رقيا واسعا في شتى مجالات الحياة حتى أنه قد أطلق عليه"عصر الإسلام الذهبي،حيث ثبتت قواعد الدولة العباسية على عهد الرشيد وابنيه المأمون و المعتصم،وأصبح لها شأن عظيم و سلطان مهيب، وسياسة واضحة، يغلب عليها طابع النظام و التدبير في كل الأمور"[3].

---

[1]-فوزي السيد عبد ربه، "المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين"،(د ط) ، مكتبة لأنجلو مصرية، القاهرة،2005م، ص13.

[2]- سامي يوسف أبو زيد، "الأدب العباسي النثر"، ط 1، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، 1432هـ - 2011م، ص15

[3]-فوزي السيد عبد ربه، المرجع السابق، ص13

و قد تولى الرشيد خلافة الدولة العباسية و أبلغها ذروة ازدهارها حيث" ولي الرشيد سنة 170هـ وامتدت خلافته إلى سنة 193هـ، ويعد عصره الذهبي للخلافة العباسية بما بلغته من أبهة الملك و فخامته، ولا تزال ذاكره حيه في نفوس العرب إلى اليوم"[1].

وما إن توفي الرشيد حتى نشيب نزاع بين ابنيه الأمين و المأمون، وفي هذه الأثناء كان الجاحظ قد ترك البصرة ورحل إلى بغداد و هناك استدعاه المأمون " على إثر كتاب و ضعه عن" الإمامة" و صدره ديوان الرسائل. وما انقضت ثلاثة أيام استعفى من منصبه فأغفي"[2].

وبعد وفاة المأمون لازم الجاحظ" الوزير محمد بن الملك الزيات في خلافة الواثق، فلما قتل المتوكل أبن الزيات طلبه الجند، وأوشك أن يقتل هو أيضا، و لكنه أفلت من ذلك بعسر و مشقة"[3].

وعندما استطارت شهرة الجاحظ في بغداد ذكر للمتوكل فدعاه"لتأديب بعض ولده. فلما رآه الخليفة استبشع منظره، فأمر له بعشرة آلاف درهم و صرفه"[4].

فالجاحظ كان ميالا للعيش الرخي وهذا ما دفعه إلى التنقل باستمرار من بلد لآخر.

1- ب- العصر العباسي الثاني(232هـ656هـ) :

وقد مر هذا العصر بثلاث مراحل هي كالآتي:

[1]-شوقي ضيق، "تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الأول)"، ط6،دار المعارف بمصر، دت، ص36

[2]-جميل جبر، "الجاحظ و مجتمع عصره في بغداد"، ص9.

[3]- كارل بروكلمان، "تاريخ الأدب العربي"، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ط3، دار المعارف، مصر، د ت، ج3 ص 106.

[4]-جميل جبر، "الجاحظ و مجتمع عصره في بغداد"، ص11

* مرحلة نفوذ الأتراك على الخلافة العباسية(232هـ-334هـ) :

رأينا سابقا أي في العصير العباسي الأول كيف قام العباسيون بتوطيد أركان الدولة و كيف تم التخلص من المارقين على الدولة حيث تولى في هذه المرحلة" العنصر التركي زمام الدولة كلها، وانتقلت العاصمة من بغداد إلى سامراء. إذ ضجر الناس من الجند الأتراك، و ظلت حاضرة الخلافة إلى أواخر عهد الخليفة المعتمد سنة 276 هـ، و ازداد النفوذ التركي، و أصبحت الخلافة لا تولى إلا لمن وافق هوى الأتراك و خضع لهم، و بدأ الضعف يدب في كل الأركان الدولة العباسية"[1].

* مرحلة النفوذ البويهي الفارسي(334هـ- 447هـ) :

حيث أننا ما إن " نصل إلى أواخر العصر حتى يتغلب كثير من الحكام على ولاياتهم , فتصبح فارس والري وأصبهان والجبل في أيدي بني بويه " [2]

* مرحلة نفوذ الأتراك السلاجقة (447 هـ - 656 هـ) :

ونجد في هذه المرحلة سيطرة "السلاجقة على مقدرات الخلافة حتى اقتحم المغول بغداد سنة 656هـ/1258م...وبذلك سقطت خلافة بني العباس، ليأتي عهد جديد هو عصر المماليك"[3].

كانت هذه باختصار لمحة طفيفة للحياة السياسية وما ميزها في عصر الجاحظ.

---

[1]- سامي يوسف أبو زيد، "الأدب العباسي النثر"، ص15

[2]- شوقي ضيق، "تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني)"،ص26.

[3]- سامي يوسف، المرجع السابق، ص ص16، 17.

2- الحياة الاجتماعية:

من خلال مصادر ثقافة و مقدار تحصيله الثقافي يتضح لنا معالم العصر الذي عاش فيه و استقى منه ثقافة موسوعية شاملة إذ أنه عاش في العصر الذهبي للأمة العربية عصر هارون و المأمون, و العلوم و الآداب و الفنون يومئذ تزخر بهاو معاهد البصرة و بغداد و الكوفة و قرطبة, وسائل عواصم الإسلام, و كان المعين فياضا مترعا و العقول في نشاط و فورة, و التأليف و الترجمة لها دوي النحل في كل صقع, الدين يدعو إلى العلم و النور,و المال تلمع وجوهه في عيون أهل الفضل,فيذكي العزائم,و يبرم العقد,و العلم ولود, وصاحبه كلما ارتوى منه عاد به في سبيل الظمأ,و حيثما شبع منه رجع به في سبيل الجوع.[1]

عاش الجاحظ ابرز ما في الحقبة العباسية إذ شهد أيام العظمة التي عرفتها هذه الخلافة و عاش في ظلال سلطانها و نفوذها الكبيرين و زامن عهد الاستقرار و الازدهار، فقد ثبت قواعد الدولة العباسية على يدي المنصور، وامتد نفوذها في كل مكان في أيام المهدي و تألقت حضارتها و عظمت هيبتها في زمن الرشيد و المأمون و توالت انتصاراتها العسكرية أيام خلافة المعتصم و ظلت في قوة و ازدهار في عصر الواثق و المتوكل [2] و في ظل هؤلاء الخلفاء هيمن النفوذ السياسي للعنصر الفارسي الذي ساعد على قيام الدولة و نشر دعوتها إذ كانت الأمور بأيدي الوزراء و القواد الفرس يقول الجاحظ في كتابه البيان و التبيين: " فقد كان للفرس في هذا العهد نفوذ كبير فهم أكثر من تولى الأعمال للمنصور". [3] و في زمن الرشيد زاد نفوذ الفرس بفضل البرامكة فخفت كفة العرب و رجحت كفة الأعاجم و إذا كان عصر هؤلاء قد امتاز بقوة الخلافة و عظمة الخلفاء و صار الخلفاء لا يملكون منها سوى رسمها و مظاهرها حتى ذهب جلالها من النفوس و زال مقامها من القلوب إذ

---

[1]- الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر)، "الحيوان"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، شركة مكتبة و مطبعة مصطفي البابي الحلبي و أولاده، مصر، 1384هـ -1965م، ج 1، ص 3.

[2]- عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ"، ص19.

[3]- المرجع نفسه، ص ص19،20.

أصبح الخلفاء مسخرين من قبل الأتراك بعد استعانة المعتصم بهم لكسر شوكة الفرس [1] فاستغلوا هذا و قبضوا زمام الحكم فأصبح بيدهم تنصيب أو عزل الخلفاء بل و سفك دمائهم أيضا خاصة بعد قتلهم المتوكل و وزيره الفتح بن خاقان [2]هذا فضلا عن ما شهده الجاحظ من ثورات العلويين و خروجهم عن الخلافة بعدما رأوه من اضطهاد و الذي زادت حدته في عهد الرشيد و المتوكل بالإضافة إلى الفتن و الحروب التي انتشرت آنذاك ففي الداخل نهض الخلفاء لقمع ثورات الروندية أتباع " ابن الروندي الرافضي" و الزنادقة في فارس و العراق و القرمية من أتباع بابك الخرمي أما في الخارج فكانت غزوات الصيف و الشتاء مستمرة و موجهة خاصة إلي الإمبراطورية البيزنطية في سهول آسيا الصغرى و خاصة في زمن الرشيد و المعتصم[3]، كل هذه الأحداث السياسية كانت لها انعكاسات مختلفة على الحياة الاجتماعية العباسية حيث ظهرت طبقات اجتماعية متباينة يمكن تمييزها كالآتي طبقة ارستقراطية مؤلفة من العرب الأقحاح و طبقة بورجوازية مؤلفة من عناصر عربية و أعجمية مسلمة و غير مسلمة بالإضافة إلى عامة الشعب و كذا الرقيق [4] و هذا يدل على تفوت طرق العيش فمنهم من يعيش في بذخ و ترف و منهم من كان يقع عليه عبء العمل و يقاسي مرارة الحياة.
إضافة إلى ما تميز به المجتمع العباسي من تمازج عنصري بين الأجناس المختلفة فنتج عن هذا تزاوج و اختلاط في الأفكار و العادات و المعتقدات بل لقد تم اختلاط المدينة الآرية بالسامية مما أدى إلى ظهور أنماط عيش متضاربة نمط يتميز بالانحلال الخلقي و الطبائع الغريبة عن الدين الإسلامي و نمط يتميز بالمحافظة و التمسك بمبادئ الأخلاق.[5]

---

[1]- رابح الغوبي، "فن السخرية في أدب الجاحظ"، ص58.

[2]- عبد المنعم خفاجي، "الجاحظ"، ص22.

[3]- المرجع نفسه، ص23.

[4]- شارل بللا،"الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء"، ص304.

[5]- رابح الغوبي، المرجع السابق، ص61.

فأما الأول فكانت الحياة من خلالــه حياة ترف و مجون فانتشرت مظاهر اللهو والذي ساعد على ذلك ظهور القيان و الجواري اللائي كن أدوات فتنة و مجون و عبث فاستفحل بذلك الخمر و الغناء و الر قص و اللهو و بالمقابل كانت مساجد بغداد و البصرة و غيرها عامرة بالعباد و النساك و أهل التقوى و الصلاح [1] كما يلاحظ من خلال المجتمع العباسي انتشار عدة مظاهر كاللصوصية التي تعددت وسائلها و تنوعت حيلها كالتخفي بلباس الفقر و الضعف فكثر المتسولون و استفحلت الظواهر المشينة كالشعوذة و نشر الخرافات و الأوهام فمن معتقداتهم أن الخنافسَ تجلب الرزق و أن طول الأذنين دليل على طول الحياة، و أن الشيطان لا يدخل بيتا فيه ديك ابيض عرفه احمر و انه يسكن الحية و قد تلبسها منذ خدع آدم...[2].

كما أن هناك عوامل أخرى ميزت الدولة العباسية كغلبة النفوذ الفارسي و انتقال العاصمة من الشام إلى العراق وهذا كان له أثر كبير في نمو الحركة العلمية الاجتماعية، و هذه الأخيرة لونت العلوم و الآداب بلون خاص و جعلت لها صفات خاصة، كغلبة النفوذ السياسي و حرية الفكر كما تميز هذا العصر بحركة التأليف و الترجمة حيث حول ما في اللسان العربي إلى التسجيل في الكتب و تحويل ما باللسان الأجنبي إلى لغة العرب (الترجمة)، و من هذا يمكننا إجمال أهم خصائص هذه الفترة من الناحية الاجتماعية في النقاط التالية:

- تنوع الظواهر الاجتماعية و تأثيرها الكبير على الحياة الثقافية و الفنية ومن أبرز هذه الظواهر:

-التوليد و ظاهرة المولدين نتيجة الامتزاج و التزاوج بين الأجناس

-ظاهرة الصراع و هو ما فرضته كثرة الأجناس إذ وقع تصادم بين مميزات كل جنس من قيم و عادات.

[1] - عبد الحليم محمد حسين، "السخرية في أدب الجاحظ"، ص24.

[2] - جورج غريب،"الجاحظ دراسة عامة"، ص108.

-ظاهرة الشعوبية التي تعتبر من أبرز الظواهر الاجتماعية لذلك العصر.
-اجتماع وجوه مختلفة من الحياة الاجتماعية كالغنى و الفقر، البخل، الكرم، التقوى، الاستهتار.[1]
-اتخاذ العباسيين الفرس و حضارتهم مثلا أعلى لهم و نموذجا يقتدون به كما أنهم تخاطبوا بالفارسية لمدى إعجابهم بها[2].

من هنا يتبين لنا بان الجاحظ عاش في مجتمع انخفض مستوى الأخلاق العامة فيه، فضعف الإيمان عند الناس و انتشر الفساد و كثر حب المال و السعي وراء الملذات فما كان عليه سوى تنصيب نفسه كمصلح أخلاقي و مرشد اجتماعي، حيث استطاع بثقافته الواسعة أن يشن حملة ممتدة النطاق على هؤلاء ينقد وينصح و يسخر و يتهكم، فتعددت بذلك موضوعاته و تنوعت بين غرابة الطباع و الأخلاق من بخل، نفاق، جحود، نكران للجميل، تطفل، بلادة، إهمال، كذب، مبالغة، ادعاء، وخوف، جبن وغيرهم، و بين القصور العقلي من حمق، جهل و غفلة، و بين التحايل و الخداع و التلاعب بالألفاظ و غيرها من المواضيع التي راح يعالجها أبو عثمان بكثير من التحاليل و عمق الدراســـــة.[3]

[1]- عمر فروخ، "المناهج في الأدب العربي و تاريخه"، منشورات المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1959، ص 162

[2]- المرجع نفسه، ص ن

[3]- عبد الحليم محمد حسين،" السخرية في أدب الجاحظ"، ص143.

3- الحياة الفكرية الثقافية:

شهدت الحياة الثقافية والأدبية في العصر العباسي ازدهارا واسعا ونموا سريعا في شتى مجالات الآداب و العلوم حيث ساهمت عوامل كثيرة في هذا الثراء الثقافي والتطور الأدبي من بينها الحركة العلمية حيث العلمية حيث أن الإسلام دعا أمته في قوة إلى العلم والتعلم والأخذ عن الشعوب الأخرى بفضل ثقافة الامتزاج بين الشعوب والأمم حيث أنه "بمجرد أن اكتسح العرب و إيران و الشام و مصر مضوا ينهلون من كل الثقافات و المعارف التي كانت منبثة في هذه البلدان و أسعفهم في ذلك عربوا شعوبها و أخذت بنفسها تعرب لهم كل مدخراتها و كنوزها الثقافية"[1]. فالإسلام كان له دور مهم في ارتقاء الحضارة العباسية العربية و تطورها و ذلك أنه أذكى "جذور المعرفة و العلم في نفوس المسلمين جميعا، عربا و غير عرب، فدفنهم دفعا قويا إلى العلم و التعلم"[2] .

وقد تعددت في هذا العصر أماكن التعلم و التعليم حيث كانت في بداية الأمر في المساجد و الكتاتيب فقد كانت المساجد و الكتاتيب في هده الفتة ساحة كبرى للعلم و العلماء يتوافد إليها الطلبة لتعلم علوم النحو و الصرف و القرآن و الحديث، فقد" هيأت المساجد – بهذا الانطلاق– إلى وجود العلماء الذين نوعوا ثقافتهم و معارفهم تنوعا واسعا من فأخذوا من كل فن بطرف ، و نهلوا من العلوم و المعارف التي كانت تطرح في كل الحلقات، و هؤلاء أطلق عليهم " المسجدين و كانت لهم حلقات خاصة، و كان بينهم محاورات و مناظرات"[3] .

كما ساهم الوزراء و الخلفاء بدور كبير في نشر العلم، " فقد كان تشجيع الخلفاء و الوزراء ومن سلك سبيلهم للعلم و العلماء خير عون على ازدهار العلم، و تشجيع العلماء في هذا العصر، فكان الخلفاء يغدقون العطاء على من يشتهر من العلماء أو يجيد في علم من العلوم أو فن من الفنون، بل كانوا يفرضون لهم الرواتب الشهرية، و يستدعونهم إلى دار

---

[1]- شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني)"، ص115

[2]- فوزي السيد عبد ربه، "المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين"، ص 15

[3]- المرجع نفسه ، ص ص 15، 16

الخلافة، و يقربونهم من مجالسهم، و يتخذون منهم مؤدبين لأبنائهم، و بخاصة المسجد ين الذي كان لهم حظوة خاصة لدى الخلفاء و الوزراء"[1] .

كما ساهم انتشار استخدام الورق في بلوغ الحركة العلمية غاية كافية من النهضة العلمية و الأدبية فقد" انشأ بعض الوراقين لهم دكاكين كبيرة ملؤوها بالكتب يتجرون فيها، وكان بعض الشباب يغدو إلى هذه الدكاكين لا ليشتري منها فحسبن بل ليقرأ فيها ما لد و طاب من صنوف الآداب نظير أجر بسيط يتقاضاه منه صاحبها"[2] .

ومن أبرز الأسباب أيضا التي ساهمت في انتشار و تنوع الثقافة في هذا العصر حركة" الترجمة و النقل من كتب الأمم الأخرى و علومهم إلى اللغة العربية، فإذا كان لخلفاء بني العباس في بداية عصرهم عناية بهذه الحركة، فإن خلفاء هذه الحقبة التي عاشها الجاحظ ووزرائهم كانوا أشد عناية و أكثر اهتماما بهذا النقل و تلك الترجمة المنتظمة، و عنوا بها عناية شديدة"[3] .

و قد نشطت هذه الحركة و بلغت "مداها في عهد المأمون، فقد ألحق بدار الحكمة مرصدا كبيرا خصصه لهذا الغرض، وجد فيه الترجمة و النقل"[4].

ومن أبرز المترجمين في هذه الفترة نذكر" الحجاج بن مطر، وابن البطريق، و سهل بن هارون، و حنين بن إسحاق، و غيرهم، وقد اهتم هؤلاء بنقل علوم الأمم في شتى فروع العلم، و بخاصة علوم الهند و طبها و حكمتها، و الفرس و صناعتها، و اليونان و فلسفتها و منطقها، وما يتصل بهذه الأمم من تصورهم للأدب و صناعته، فنقلوا صحفا كثيرة عن الهند

[1] فوزي السيد عبد ربه، "المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين"، ص 16

[2] شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الأول)"، ص 104

[3] فوزي السيد عبد ربه، المرجع السابق، ص17

[4] المرجع نفسه، ص ن.

تتصل بالبلاغة و البيان، و نقلوا عن أرسطو و أفلاطون مصنفات مختلفة يتصل بعضها بالأدب و البيان"[1] .

وكان من نتيجة هذا التطور و الرقي في العلوم و الفنون و الآداب أن" كثرت في هذا العصر المصنفات و المؤلفات في كل العلوم و الفنون و الآداب، واهتم كثير من الأفراد على اختلاف طبقاتهم بلقتناء المكتبات و الاعتناء بنسخ الكتب"[2].

إذا ففي هذا العصر الذي نعم فيه المجتمع العربي الإسلامي بالهدوء و الاستقرار و الرقي و الثراء، و بلغت فيه الحركة العلمية ذروتها و مجدها، وترجمت فيه كتب و علوم الأوائل في شتى الفروع عاش الجاحظ حياته و نشأ العلمية الخصبة.

[1]- فوزي السيد عبد ربه، "المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين"، ص 17.

[2]-المرجع نفسه،ص 16.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

رسالة المعاد و المعاش

المبحث الأول: تعريف الرسالة و مضمونها.

1- تمهيد.

2- نموذج من الرسالة.

3- تعريفها.

4- الدافع إلي تأليفها.

5- مضمونها.

المبحث الثاني:دراسة تطبيقية لرسالة.

1- التحليل الأدبي لرسالة.

2- الدراسة البلاغية لرسالة.

3- أسلوب الجاحظ في الرسالة.

4- إيديولوجية الجاحظ في الرسالة.

المبحث الأول: تعريفها و مضمونها

1- تمهيد:

ارتأيت في هذا المبحث اختيار نموذج من كتابات الجاحظ الأدبية المتعلّقة بالجانب الاجتماعي الإصلاحي بغية تحليله و استنتاج الدور الفعال الذي لعبه الجاحظ في توجيه و إصلاح ما يمكن إصلاحه من فساد في المجتمع العباسي آنذاك ،فتعسر عليا ذلك لتعدد المواضيع الاجتماعية و السياسية و الأخلاقية التي تطرق إليها الجاحظ بحكم أنه و كما سبق الذكر تناول بيئة عصره بالنقد و الوصف و التحليل في أكثر ما ألف، إذ قلما خلت آثاره من علاقة وطيدة بمجتمعه و بيئته و عصره، فانتقل بين مختلف الجوانب من الثقافة إلى الأديان إلى الأحزاب والشيع والطبقات و الفئات الاجتماعية، فها هو البخلاء أعظم إنجاز له، يمثل دراسة أدبية نقدية فكهة ي جمع فيها أ خبار البخلاء في عصره ،فضلا عن ذلك رسائله الكثيرة كرسالته في مناقب الترك و فخر السودان على البيضان و القنان و الحاسد و المحسود و ذم الكتاب و غيرها من الرسائل التي عدت أضواء كاشفة على بيئة عصره في جلّ نواحيها.

هكذا مضى الجاحظ يوجه و يرشد إلى الطريق الأفضل الذي يسمو به المجتمع داعيا إلى المحافظة الاجتماعية و التمسك بالفضائل التي توطد ركيزة المجتمع الخلقية منها الإحسان و الكرم و الوفاء بالوعود، فكان كتابه الذي يضم مجموعة من الرسائل اشتملت على نصوص من عيون أدب الجاحظ منها رسالة " المعاد والمعاش".

2- نموذج من رسالة المعاد و المعاش :

حفظك اللّه و أمتع بك أما بعد فإن جماعات أهل الحكمة قالوا:واجب على كل حكيم أن يحسن الارتياد لموضع البغية ، و أن يبين أسباب الأمور و يمهد لعواقبها فإنما صدمت العلماء بحسن التثبيت في أوائل الأمور، واستشفافهم[1] بعقولهم ما تجيء به العواقب، فيعلمون عند استقبالها ما تؤول به الحالات في استدبارها. وبقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم فأما معرفة الأمور عند تكشفها و ما يظهر من خفياتها فذاك أمر يع تدل فيه الفضائل و المفضول، و العالمون و الجاهلون...[2]

و خرجت نسيج و حدك، أو حديا في عصرك، حكمت وكيل اللّه عندك وهو عقلك وعلى هواك، و ألقيت إليه أزمة أمرك ،فسلك بك طريق السلامة[3]، وأسلمك إلى العاقبة المحمودة ،و بلغ مبك من نيل اللذات أكثر مما بلغوا و نال بك من الشهوات أكثر مما نالوا، و صرفك من صنوف النعم[4] أكثر مما تصرفوا...

فلم أزل أبقاك اللّه في أحوالك تلك كلها بفضيلتك عارفا و لك نعم اللّه عندك غابطا، أرى ظواهر أمورك المحمودة فتدعوني إلى الانقطاع إليك ،و أسأل عن بواطن أحوالك فتزيدني رغبة في الاتصال بك ،ارتيادا منى لموضع الخيرة في الإخوة، و التمسا لإصابة الاصطفاء في المودة و تخيرا لمستودع الرجاء في النائبة.

و كان تمام شكري لربِّى ولىِّ كلِّ نعمة، و المبتدئ بكلِّ إحسان، الشكر لك و القيام بمكافأتك بما أمكن من قول و فعل.[5]

---

[1] - د:"واستشراقهم"

[2] - م: و العالم و الجاهل

[3] - هذا ما في د، وفي الأصل "طرق"وفي م:"سبيل"

[4] - هذا ما في د،م و في الأصل: "التنعم"

[5] - هذا ما في د، و الأصل "عمل".

وقد أجمعت الحكماء أن العقل المطبوع و الكرم الغريزي لا يبلغان غاية الكمال إلاّ بمعاونة العقل المكتسب. و مثلوا ذلك بالنّار و الحطب، و المصباح و الدّهن، و ذلك أن العقل الغريزي آلة و المكتسب مادّة، و إنما الأدب عقل غيرك تزيده في عقلك.

فألفت لك كتابي هذا إليك، و أنا واصف لك فيه الطبائع التي ركب عليها الخلق و فطرت عليها البرايا كلهم، فهم فيها مستوون،[1] و إلى وجودها في أنفسهم مضطرون و في المعرفة بما يتولد عنها متفقون.

ثم يبين لك كيف تفترق بهم الحالات و تفاوت [2] بهم المنازل ،و ما العلل التي يوجب بعضها بعضا ،و ما الشيء الذي يكون سببا لغيره ،متى كان الأول كان ما بعده ، وما السبب الذي لا يكون الثاني فيه إلا بالأول، و ربما كان و ما منها يمتنعون عنه، وما منها لا يمتنعون منه و ما أسباب نوازع شهواتهم ؟ و تسكن بعد النفار؟ و كيف يتأتى لينقض[3] وما فيهم من الطبائع المذمومة حتى تصرف إلى الشيم المحمودة ؟ و راسم لك في أصولا، و مبين لك مع كل أصل منها علته و سببه.

اعلم أن الآداب هي آلات تصلح أن تستعمل في الدين و تستعمل في الدنيا، و إنما وضعت الآداب على أصول الطبائع و إنما أصول أمور التدبير في الدين والدنيا واحدة، فما فسدت فيه المعاملة في الدين فسدت فيه المعاملة في الدنيا...و لذلك قال اللّه عزوجل: ﴿**و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلا**﴾ [4]

قال بن عباس في تفسيرها:من كان ليس له العقل ما يعرف به كيف دبرت أمور الدنيا فكذلك هو إذا انتقل إلى الدين ، فإنما ينتقل بذلك العقل فبقدر جهله بالدنيا يكون جهله بالآخرة أكثر

---

[1]- في الأصل متساوون و أثبت ما في د

[2]- أي تتفاوت، يحذف أحدى التائين و في د.و تتفاوت

[3]- د.النقيض

[4]- الآية 72 من سورة الإسراء

لأن هذه شاهدة و تلك غيب [1] فإذا جهل ما شاهد فدوام حالك و بقاء النعمة عليك ، بتقديرك أمورك على قدر الزمان، وبقدر الإمكان، فقد قال الشاعر[2].

مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَبَا كَبْوَةً لَمْ يَسْتَقِلْهَا مِنْ خُطَى الدَّهْرِ

فلَخْطُ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى مَا خَطَا واجْرِ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرِي[3]

واعلم أن الصمت في موضعه ربما انفع من الإبلاغ بالمنطق في موضعه، و عند إصابة فرصته وذاك صمتك عند من يعلم أنك لم تصمت عنه عيا [4] ولا رهبة فليزدك من الصمت رغبة ما ترى كثرة فضائح المتكلمين في غير الفرص و هذر من أطلق لسانه بغير حاجة . فإن كان عدوك مما لا يصلح على ذلك فحصن عنه أسرارك، و عمِّ عليه آثار تدبيرك، [5] و لا يطلعنّ على شيء من مكايدتك له[6]. بقول ولا فعل فبأخذ حذره.

و اعلم أن إشاعة الأسرار فساد في كل وجه من الوجوه، من العدو و الصديق و قد رويّ عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: "استعينوا على الحوائج بسترها؛ فإن كلّ ذي نعمة محسود"[7]

و اعلم أن طبع النفوس إذا كان على حسب العلوّ و الغلبة–أنّ في تركيبها بُغضَ من استطال عليها، فاستدع محبة العامة بالتواضع.

---

[1]- الشاهدة : نقيض الغائب

[2]- هو أبو العتاهية، كما في البيان 4:21 و ملحقات ديوانه 98 نقلا عن الأغاني 164:3

[3]-في الأصل و البيان إذا ما أخطأ و أثبت ما في د و بعض أصول البيان

[4]- العي العجز و في الأصل عياء صوابه في د

[5]- د: "و عم عليه تدبيرك"

[6]- د: "مكايدك"

[7]- أخرجه السيوطي في الجامع الصغير 985 وذكر أنه حديث ضعيف.

و اعلم أن الذي تعامل به صديقك هو ضد ما تعامل به عدوك، فالصديق وجه معاملته المسالمة، و العدو وجه معاملته المداراة، فضع الثقة موضعها، و أقم الحذر مقامه.

و بحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره...ثم لا يمنعك ذلك من الاستكثار من الأصدقاء فإنهم جند معدّون لك.

اعلم أن الحكماء لم تذم شيئا كذمها أربع خلال...و ذموا الحسد كذمهم الجزع لما يتعجل صاحبه من ثقل الاغتنام، و كلفة مقاساة الاهتمام، من غير أن يجدي عليه شيئا [1] فالحسد اغتنام و الغدر لؤم وقال بعض الحكماء: للّه الحسد خلق دنيء، من دناءته أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب للّه و زعموا أنه لم يغدر غادر قط إلا لصغر همته عن الوفاء ،و خمول قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم

و بقدر ما ذمت الحكماء هذه الأخلاق الأربعة [2]، فكذلك حمدت أضدادها من الأخلاق، فأكثرت في تفضيلها الأقاويل، و ضربت فيها الأمثال، وزعمت أنها أصل لكل كرم، و جماع لكل خير، و أن بها تنال جسام الأمور في الدنيا و الدين[3].

فاجعل هذه الأخلاق إماما لك و مثلا بين عينيك ورض عليها نفسك و حكمها في أمرك، تفز بالراحة في العاجل،[4] و الكرامة في الآجل.

و اعلم أنه ليس من الأخلاق التي ذمتها الحكماء خلق إلاّ و قد ينفع في بعض الحالات، و يرد به شكله، و يقلم بإزاء مثله، و يدافع به نظيره. وكذلك سائر الأخلاق المحمودة و المذمومة، فلتكن محموداتها غالبة على أفعالك حكمة في أمورك.[5]

---

[1]- هذا ما في د. و في الأصل من غير أن يكون عليه في ذلك شيء، أي تحريف

[2]- في الأصل من هذه الأخلاق الثلاثة، و الوجه د

[3]- د. الدين و الدنيا

[4]- هذا ما في د، في الأصل:"في العاجل و الآجل"

[5]-التكملة من د

فإنك إن ضبطت ذلك و قومت عليه نفسك عشت رخي البال قليل الهموم كثير الصديق قليل العدو و سليم الدين نقي العرض محمود الفعال جميل الأحدوثة في حياتك و بعد وفاتك، و كنت بموضع الرجاء أن اللّه لك السلامة الآجلة بالنعمة العاجلة إن شاء اللّه عزوجل.

أسأل اللّه المبتدئ بكل نعمة و المتولي لكل إحسان أن يصلى على محمد خيرته من خلقه و صفوته من بريته و أن يتم [1] عليك نعمته و يشفع لك ما خولك من نعمته بالنعمة التي يؤمن معها الزوال، في جواره و مرافقته أنبيائه و السلام عليك و رحمة اللّه ".

[1] في الأصل يتمم، و أثبت ما في د

3- التعريف بالرسالة :

"المعاد و المعاش" و تسمى أيضا " الأخلاق المذمومة و المحمودة " إحدى رسائل الجاحظ و هي أصل مخطوطة مكتبة الداماد نسختان : الأولى : رسالة الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك الزيات في الأخلاق المحمودة و المذمومة وهي ثاني رسالة في مجموعة الداماد.

و الثانية: رسالة المعاد و المعاش و هي في نشرته لرسائل الجاحظ، ج 1 ص 87 حتى[1] 134 وجه أبو عثمان رسالته هاته إلى شخصية أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤ اد أثناء إشرافه على الولاة و القضاة في الدولة العباسية ، أراد بذلك إيضاح مفهوم السياسة و أصولها ،محاولا إعطاء نظرة جديدة ،أنّ العامة لا تصلح لاختيار الأمام لجهلها و غلبة الأهواء عليها و هذه المهمة ملقاة على عاتق الخاصة التي يمكنها معرفة من يستحق الإمامة دون سواه[2].

4- دواعي و أبعاد تأليف رسالة المعاد و المعاش:

يري الجاحظ أن ضعف الإيمان عند الناس،و انتشار الفساد، و حب المال و السعي وراء الملذات وكذلك الترف و انتشار ضروب اللهو و المتعة و المجون، كما لا ننسى الحديث عن التنوع الطبقي للمجتمع العباسي آنذاك و كذلك الأوضاع الاقتصادية و الزندقة التي سادت في الوسط الاجتماعي هي دلائل واضحة على انخفاض مستوى الأخلاق العامة في بيئة مجتمعه. لكنه ينوه بأنه لا يجب التعميم و الظن بأن الناس كلهم سواسية، فقد ظلت فئة كبيرة من مجتمعه خاضعة للقواعد الدينية و الأخلاقية حتى و إن لم تصل إلى حدّ الكمال و الجاحظ ينسب نفسه إلى هذه الفئة.

[1]- الموقع الإلكتروني alwaraq

[2]- www.alsakher.com

إن سمعة الجاحظ الأخلاقية الطيّبة التي احتفظ بها دفعته إلى أن يجعل من نفسه مصلح أخلاقي دون أن يتعرض لهزأ الناس و الحقد عليهم أو إيذائهم [1]. فالجاحظ يري أن سبب انحراف الناس بعد أن كانوا مسلمين يؤمنون بالقدر هو إتباعهم المذهب الاختياري، حيث أصبح الناس أحرارا في تصرفاتهم لا يهتمون باقترافهم لذنوب و المعاصي مما أدى بالمستوي الأخلاقي في ذلك الحين ينخفض و يتدهور، فرأى الجاحظ أن الفرد الذي كان قد تخلص من سلطان الرقابة الإلهية أراد أن يستمتع بحريته و كذلك معاصريه الذين كانوا يعيشون تحت شعار الحرية الخصبة في ميدان العقل بعيدين كل البعد عن الميدان الأخلاقي الديني[2].

إن الجاحظ لم يقف طويلا عند مخالفة تعاليم القرآن الأساسية كالصلاة و غيرها، و لا على مخالفة أركان الإسلام، بل سلط النور على بعض جوانب الأخلاق العامة فيما له علاقة خاصة بالحياة اليومية و العادات المذمومة والعلاقات الاجتماعية المبنية على البخل والكذب و الخداع و النفاق.

كل هذا دفع بالجاحظ إلي أن يتجه بقلمه إلى أسلوب جديد في كتاباته الأدبية و هو أسلوب إصلاحي بغية إصلاح ما يمكن إصلاحه من فساد في مجتمعه داعيا إلي التمسك بالفضائل كحب الخير و الصبر والصدق و الكرم و الوفاء و الإحسان. فالجاحظ أراد لهذه الصفات و غيرها من صفات الأخلاق المحمودة أن تطبق و تنتشر بين الناس فأخذ يكتب رسالته المعاد و المعاش متحدثا فيها عن أصول السياسة و التي يقصد بها تدبير شؤون الناس و معاشهم، محللا فيها فضائل و آفات خلقية كالكرم و العدل و الحسد و الغضب و التنبل و غير ذلك، موجها إياها للقاضي أبي دؤاد الذي كان يشرف على الولاة والقضاة في الدولة العباسية.

[1]–عيسى عودة برهومة،" رسائل الجاحظ الأدبية و السياسية"، المجلة الجامعية الهاشمية،الأردن، د ت، العدد4، ص81.

[2]–المرجع نفسه، ص 82.

فالغاية التي يهدف إليها الجاحظ في توجيهه رسالة المعاد و المعاش إلى أبي الوليد و قد أصبح رجلا من رجال الدولة هي التبصير و التوجيه، لأنه مع تولي أبي الوليد لمنصب قاضي القضاة ستكثر صلاته و مخالطاته مع الناس و قد يمر بتجارب حديثة لم يعهدها من قبل، إذا فإن الجاحظ في هذه الرسالة يمده بالمعرفة و الخبرة اللتين ستكونان له هاديا فيما لم تمده التجربة السابقة به [1]، جاعلا من القاضي وسيلة لتحقيق هدفه ألا و هو السعي وراء تنوير العقول و تهذيب النفوس و تخليصها من الأفكار الرجعية التي قهقرت المجتمع.

فالجاحظ يهدف إلى إعطاء الإنسان مكانة هامة و يبعث فيه روح الهمة للوصول إلى القمة، و تعزيز الشعور بالكرامة و المجد في نفوس العرب، فهو يحاول تخليص مجتمعه من البدع التي طغت على تفكيره فاهتم بمحاورة العقول و تربية النفوس لتعليمها و تثقيفها و إرساء المبادئ الأخلاقية القائمة على أساس الأفكار الصحيحة. كل هذا من أجل تغير مجتمعه و نشر الخير فيه و تعاليم القرآن و أركان الإسلام من خلال تطبيقه لنصائح التي وجهت إليه، لأن القاضي له سلطة على رعيته فهم يمتثلون لأوامره و ينتهون عن نواهيه. و هكذا فالجاحظ يطلب من القاضي أن يحسن معاملة الرعية لكسب طاعتهم، و عليه أن يرغبهم بما يحبونه و يوفره لهم، كما عليه أن يحذرهم مما يكرهونه وينفذ ما حذر منه، و بهذا يكون القاضي أدى واجبه على أكمل وجه و الجاحظ حقق مبتغاه اتجاه مجتمعه.

[1] عيسى عودة برهومة،" رسائل الجاحظ الأدبية و السياسية"، ص84.

5- مضمون الرسالة :

الرسالة موجهة إلى محمد بن أحمد بن أبي دؤ اد قاضي بغداد بعد والده أحمد بين سنتي 233 و 237هـ ، ولّي و عزل من قبل المتوكل. و قد توثقت صلة الجاحظ بأبيه و به. وقد حاول الجاحظ أن يرشده و يوجهه نظرا لحداثة سنه فكتب إليه عدة رسائل منها رسالة المعاد و المعاش.

يستهل الرسالة بمقدمة إضافية يمتدح بها رجاحة عقل القاضي و كرم خلقه و يتزلف إليه قائلا "و خرجت نسيج وحدك أو حديا في عصرك، حكمت وكيل اللّه عندك – و هو عقلك– على هواك–..."[1]

و يشكره على النعمة في قوله "و كان من تمام شكري لربي ولي كل نعمة، و المبتدئ بكل إحسان الشكر لك و القيام بمكافأتك بما أمكن من قول أو فعل ". [2] و يهديه كتابا في الأدب جامعا لعلم المعاد و المعاش و علل الأشياء.

ثم يحدد موضوع الكتاب بأنه وصف للطبائع التي ركب عليها الخلق و أسباب شهواتهم و كيف تستمال قلوبهم، و كيف يصرفون الطبائع المذمومة إلى الشيم المحمودة.

ويعلن قاعدة عامة ينبغي مراعاتها هي الوحدة بين آداب الدين و الدنيا لأن الآداب آلات تصلح أن تستعمل في الدين كما تصلح أن تستعمل في الدنيا، فما صح من أصول التدبير في الدين صح في الدنيا وما فسد هنا فسد هناك حيث قال له" وإنما الفرق بين الدين و الدنيا اختلاف الدارين من الدنيا و الآخرة فقط، و الحكم ها هنا الحكم هناك، ولولا ذلك ما قامت مملكة ولا ثبتت دولة ولا استقامت سياسة "[3]

---

[1]- الجاحظ، "مجموع رسائل الجاحظ"، تح محمد طه الحاجري، ص123

[2]- المرجع نفسه، ص 125.

[3]- المرجع نفسه، ص129.

والآداب و ضعت على أساس الطبائع، واهم الطبائع اثنان هما حب المنافع و كره المضار،و يدخل في حب المنافع حب الراحة و الدعة و الازدياد و العلو و العز و الغلبة وما تستلذ الحواس من المناظر و الروائح و الطعوم و الأصوات و الملامس ، و يدخل في المكاره أضداد هذه. و إذا ترك الناس و طبائعهم و انساقوا مع الهوى وابتعدوا عن الفضائل نظرا للأنانية المستولية عليهم، فكان لا بد من وازع أو رادع، ومن تربية و تأديب، و التأديب يقوم على أصلين هما الترغيب و الترهيب، وهذا الأصلان يصلحان في الدين و الدنيا لأنهما أصلا كل تدبير و عليهما مدار كل سياسة كما يقول الج ـاحظ "فإذا كانوا لم يصلحوا لخالقهم و لم ينقادوا لأمره إلا بما وصفت لك الرغبة (بالجنة) و الرهبة (من النار) فاعجز الناس رأيا و أخطاهم تدبيرا، و أجهلهم بموارد الأمور و مصادرها، من أمل أو ظن أو رجا أن أحدا من الخلق – فوقه أو دونه أو من نظرائه– يصلح له ضميره أو يصح له بخلاف ما دبرهم اللّه عليه، فيما بينه و بينهم، فالرغبة و الرهبة أصلا كل تدبير و عليهما مدار كل سياسة عظمت أو صغرت" [1].

بيدا أن الرهبة و الرغبة لا تصلحان إلا إذا قورنتا بالعدل، فالعدل هو الأصل الثالث للسياسة و هو يعني الأنصاف و المساواة.

يضاف إلى العدل الوعد و الوعيد وهو الأصل الرابع في السياسة، وهذا يعني التنفيذ و الإثابة على العمل الصالح و العقوبة على العمل الطالح " ليعمل كل عامل على ثقة مما وعده واعده "[2] فتعلقت قلوب العناد بالرغبة و الرهبة، و يطرد التدبير و تستقيم السياسة لموافقتهما ما في الفطرة ، و أخذهما بمجامع المصلحة" ، و لهذا يوصي الجاحظ القاضي بالتزام العدل في معاملة الناس ،كما يوصيه بالجود مع تثمير المال و تجنب الفقر حيث يقول :"لأن تثمير المال آلة للمكارم و عون على الدين و الدنيا و م تألف للإخوان، و لان من فقد المال قلت الرغبة منه ومن لم يكن بموضع رغبة أو رهبة استهان الناس به."[3]

---

[1]- الجاحظ، "مجموع رسائل الجاحظ"، تح محمد طه الحاجري، ص، ص 133، 134

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص125.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص139.

أما في معاملة العدو فينصح أبو عثمان بثلاث أمور: أن يبتدئ عدوه بالحسنى عله يحوله عن عداوته لأن كثرة الأعداء كريهة، و أن يكتم أسراره عنه ولا يطلعه على تدبيره، وأن يستعد لمواجهته.

و في معاملة الصديق ينصحه كما نصح ابن المقفع قبله بالإكثار من الأصدقاء لأنهم جند معدون له و عون في الشدائد ثم أن يحافظ عليهم.

و يحذره من ثلاث أمور: الكذب الذي هو جماع كل شر، ثم الغضب لأنه لؤم و سوء مقدرة، ثم الجزع عند المصيبة التي لا ارتجاع لها . كما يحذره من المفاخرة بالأنساب لأنها تورث العداوة بين الإخوان، ومن العتاب لأنه سبب القطيعة، ومن المزاج لأن الإفراط فيه يذهب بالبهاء، ثم من الاعتزاز بالنفس لأن نشر المحاسن من صاحبها لا يليق به ولا يقبل ثم حذره من أن يولى أموره الجسمية امرأ لا يكون صلاحه متعلقا بصلاح الحاكم.

و في النهاية يحث الجاحظ القاضي على استعمال الأدب و النصح في معاملة السلطان العادل، و على استعمال الحيلة و الرفق في معاملة السلطان الأخرق.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لرسالة المعاد و المعاش

1- التحليل الأدبي لرسالة :

رسالة المعاد و المعاش تسمى في بعض الأحيان كتاب الآداب، يربط بينهما الجاحظ ربطا وثيقا، إذ يجعل الآداب وسيلة لتحقيق الخير في المعاد والمعاش، فهي تستعمل في الدين و الدنيا، يقول في ذلك:" واعلم أن الآداب إنما هي آلات تصلح أن تستعمل في الدين و تستعمل في الدنيا، و إنما وضعت الآداب على أصول الطبائع، و إنما أصول أمور التدبير في الدين و الدنيا واحدة فما فسدت فيه المعاملة في الدين فسدت فيه المعاملة في الدنيا، و كل أمر لم يصح في معاملات الدنيا لم يصح في الدين..."[1]

راح الجاحظ في مقدمة رسالته يمدح أبا الوليد و يبالغ في شكره و التنويه بمحاسنه إذ يبدو لنا قلقا لما آل إليه مجتمعه آنذاك من انقلاب فكان و لا بد من ظهور رجل يغير مجرى الأمور و يبعث الراحة و السكينة، فلما أسندت إلى أبي الوليد مهمة تولى القضاء رغب الجاحظ بالتقرب إليه والاتصال به، و اتجه بكتبه إليه يظهر صفاته المحمودة و أخلاقه الحسنة، يقول في ذلك: "و لم أزل أبقاك اللّه، في أحوالك تلك كلها بفضيلتك عارفا، و لك بنعم اللّه عندك..."

إن القارئ لهته الرسالة يلاحظ مدي تأثر الجاحظ بآثار الأولين يستنتج من خلال قوله: " ولم أزل أبقاك اللّه بالموضع الذي قد عرفت، من جمع الكتب و دراستها و النظر فيها، و معلوم أن طول دراستها إنما هو تصفح عقول العالمين، و العلم بأخ .لاق النبيين، و ذوي الحكمة من الماضين و الباقين من جميع الأمم، و كتب أهل الملل"[2]

---

[1] - الجاحظ، "مجموع رسائل الجاحظ"، تح محمد طه الحاجري ، ص 114

[2] - الجاحظ، "رسائل الجاحظ"، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ج1،ج2، مؤسسة الخانجي القاهرة 1384هـ/1964م، ص95

إلا أنه لم يكن ليبقي على هذه الآثار بل راح يعدوها إلى نقدها و تبين عللها و أسبابها لذلك تراه يقول:" و رأيت كثيرا من واضعي الآداب قبلي قد عهدوا إلى الغابرين بعدهم في الآداب عهودا قربوا فيها الحق و أحسنوا فيها الدلال، إلا أني رأيت أكثر ما رسموني، ذلك فروعا لم يبينوا عللها و صفات حسنة لم يكشفوا أسبابها، وأمورا محمودة لم يدلوا على أصولها"[1]

ثم إن المتمعن أكثر في هذه الرسالة يلاحظ أن أبا عثمان قد اتبع منهج واضح في معالجته للمسائل الخلقية يظهر في قوله:" فألفت لك كتابي هذا إليك، و أنا واصف لك فيه الطبائع التي ركب عليها الخلق، وفطرت عليها البرايا كلهم،فهم فيها مستوون،و إلى وجودها في أنفسهم مضطرون، و في المعرفة بما يتولد عنها متفقون.[2]

ثم نبين لك كيف تفترق بهم الحالات، وتفاوت بهم المنازل و ما العلل التي يوجب بعضها بعض، وما الشيء الذي يكون سببا لغيره، متى كان الأول على ما بعده، وما السبب الذي لا يكون الثاني فيه إلا بالأول، و ربما كان الأول ولم يكن الثاني فيه إلا بالأول، و ربما كان الأول ولم يكن غابطا،أرى ظواهر أمورك المحمودة فتدعوني إلى الانقطاع إليك، وأسأل عن بواطن أحوالك فتزيدني رغبة في الاتصال بك، ارتيادا مني لموضع الخيرة في الإخوة، و التماسك لإصابة الاصطفاء في المودة، و تخيرا لمستودع الرجاء في النائبة"[3].

يعالج أبو عثمان موضع الآداب و يعني بها مبادئ المعاملة بين الناس و قواعد السلوك الاجتماعي و ما ينبغي أن يتجلى به الحكيم أو القاضي خصوصا وأن أبي الوليد بن أبي دؤاد صارت صلاته بالناس أعمق تأخذ منحي جديد فقدم لها الجاحظ رسالته ليهديه إلى حسن الثبت بالعقل و ا لاشتقاق به، جاء في مقال عنوانه "قيمة العقل في الإسلام" للكاتب الدكتور وائل أبو هندي:" من الازم أن نحدد معني العقل و أستشهد بالجاحظ في رسالتـــــه

[1] - الجاحظ، "رسائل الجاحظ"، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ص96.

2المصدر نفسه، ص97.

3المصدر نفسه، ص93

المعاد و المعاش و هو يصف الحكيم بقوله :" من يحسن الخطو غلى الهدف الذي يبتغيه و يبين أسباب الأمور و يمهد لعواقبها، فإنما حمدت العلماء بحسن التثبت في أوائل الأمور، و استشفافهم بعقولهم، م ا تجيئ به العواقب فيعلمون عند استقبالها ما تؤول به الحالات في استدبارها، و بقدر تفاوتهم في ذلك تستدين فضائلهم [1] الثاني، و فرق ما بين الطبع الأول و بين الاكتساب و العادة التي تصير طبعا ثانيا ولم اختلف ذلك؟و كيف دواعي قلوب الناس وما منها يمتنعون عنه، وما منها لا يمتنعون منه،وما أسباب نوازع شهواتهم ؟ و ما الشيء الذي يحتال لقلوبهم حتى تستمال، و حتى تؤنس بعد الوحشة و تسكن بعد النفار؟ و كيف يأتي لينقض ما فيهم من الطبائع المذمومة حتى تصرف إلى الشيم المحمودة ؟ و راسم لك فيه ذلك أصولا، مبين لك مع كل أصل منها علته و سببه."[2]

ولا يقتصر منهجه على أثاره المتقدمين و درسها و تحليلها ثم إلى تبيان المنهج العقلي في النظر إلى الأمور و تناول المسائل بل يتعداه إلى التجربة الخاصة التي تلعب دورا بالغ الأهمية خصوصا و أنه قد أخبر الناس بأحوال عصره و أخلاق مجتمعه بصفة عامة يمكن القول أن الجاحظ حاول إعطاء مفهوم عام للأخلاق و ما يجب أن يتحلى به المرء و ما يجب أن يتخلى عنه من صفات و سلوكات هي أسس و مبادئ انطلق منها الجاحظ في تحليل الأمور واستنتاج الأحكام بالاعتماد على العقل و حسن التفكير و التدبير.

[1] www.magamim.com

[2] الجاحظ، "رسائل الجاحظ"، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ص 97

2- الدراسة البلاغية للرسالة :

عرفنا فيما سبق أن جل كتابات الجاحظ ملائمة لتعبير عن مقتضيات العصر، وفعلا فإن الرسالة التي بين أيدينا، حاول فيها أبو عثمان إعطاء نظرة عامة و شاملة عن الأخلاق الحميدة و الأخلاق المذمومة، فلا مجال هنا للتصنع و الغموض، فإنشاؤه جاء سلس بعيد الاهتمام بالتزويق اللفظي و التنميق البياني.

و لقد كان همه الوحيد أن يعبر بوضوح و عفوية بلغة مرنة غنية بالمفردات و المردفات و يعزي عناية خاصة باختيار الكلمة التي تستوفي التعبير عن المعنى المقصود.

إن الجاحظ لا يستكف عن استعمال التعابير الواقعية قصد إعطاء الصورة التامة عن موصوفاته، هذا ما نراه في وصفه لطبائع الناس و أخلاقهم فيقول:" فألفت لك كتابي هذا إليك و أنا واصف لك في الطبائع التي ركب عليها الخلق و فطرت عليها البرايا كلهم فهم متساوون فيها و إلى وجودها في أنفسهم مضطرون و في المعرفة بما يتولد عنها متفقون..." و يقول كذلك:" و ه اتان خلتان داخل فيهما جميع محاب العباد و مكارههم و النفس في طبعها حب الراحة و الدعة والازدياد و العلو و العز و الغلبة و الاستطراف و التنوق و جميع ما تستلذ الحواس من المناظر الحسنة و الروائح العبقة و الطعوم الطيبة و الأصوات المولفة و الملابس اللذيذة و مما كراهته في طباعهم أضداد ما وصفت لك و خلافه."
و هو وصف دقيق لنفس و طبعها دليل على قدرة الجاحظ و تمكنه من تصوير موصفاته تصويرا قويا بالغ الدقة و الجودة.
كما جاءت جمله على الغالب وجيزة أنيقة قوية الحبك حتى عندما تكون ثقيلة التركيب، و كلماته تؤدي المعاني تأدية كاملة لا اضطراب فيها. كما نرى الجاحظ يتوخي الوضوح بالدرجة الأولى شأنه شأن كل باحث و عالم، فلا مجال للخيال الشعري في هذه الرسالة، كما لامجال للحس المرهف في نطاق عناصره"المنطق الموضوعية و التحليل".

أما اعتماده على الموسيقى العذبة كان واضحا في أواخر بعض الكلمات ما أعطى النص نغما جذابا يستميل به أذن السامع مثل: أخلاقك، شيمك، مذاهبك، غفلاتك ، تحفظك و كذلك في: بلوت، امتحنت، عجمت[1].

أعطي عناية بالغة لشواهد القرآنية و الأحاديث النبوية إذ يستشهد على سبيل المثال بقوله عزوجل:" ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلا"[2].

كما يستشهد بحديث النبي صلى اللّه عليه وسلم فيما رويّ عنه أنه قال :" **من أودع عرفا فليشكره، فإن لم يمكنه فلينشره، فإذا نشره فقد شكره و إذا كتمه فقد كفره.**"[3]

ولا ننسى اعتماده الشعر و الحكم و أقوال السابقين حيث أنه يورد أبيات شعرية من حين لآخر ليثرى أقواله و ليؤكدها كإيراده لقول الشاعر:

لُلُّ يُدَاجِي على البَغْضَاءِ صَاحِبَهُ زَكَنَتْ[4] مِنْهُمْ عَلى مِثْلِ الذِّي زَكَنُوا[5]

[1] الجاحظ، "رسائل الجاحظ"، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ص94.

[2] المصدر نفسه، ص 99

[3] المصدر نفسه، ص 95

[4] زكنت: منها زكي بمعنى علم

[5] الجاحظ، "رسائل الجاحظ"، المصدر السابق، ص115

3- أسلوب الجاحظ في الرسالة :

بما أن الجاحظ عاش في " العصر الذهبي للأمة العربية." [1] حيث كانت العلوم و الفنون في أوج ازدهارها فمن البديهي أن يتميز أسلوبه في الكتابة بالتنوع و التشعب نظرا لتنوع ثقافته و اتساع معارفه.

اهتم الجاحظ في كتاباته الأدبية بالإصلاح الاجتماعي و التوجيه في مختلف المجالات فبالرغم من الرخاء و الترف و الحكم الذاتي الذي عرفته الدولة العباسية،إلا أن الجاحظ حاول بنقده إصلاح ما رآه من شأنه أن يساهم في تهاوي هذه الحضارة فراح يجوب مختلف الجوانب محاولا الإمام بثغراتها من خلال خصائص المجتمع الذي عايشه بكثير من التحليل عن طريق عنق التجربة و دقة الملاحظة.

فخوفه من مشاكل عصره و واقع مجتمعه دفعه إلى مزج الجد بالهزل في أسلوبه، و يجدر بنا الإشارة هنا إلى أن استعماله للهزل لم يكن سوى وسيلة لتحقيق غايته، و التخفيف عن قارئه إذ أن الجد في أدبه هو الذي يمثل تلك الغاية المنشودة.[2]

تناول أبو عثمان بيئته و عصره و حياته و ثقافته وتجاربه، وصاغ من كل ذلك أوصاف الأشخاص و البيئات و الزمان و المكان،و صوره تصويرا مطابقا للواقع مع البراعة في رسم الحقائق و تناول الأحداث، و التعبير عن واقع الحياة و العناية باللفظة و الصيغة و الصورة.

كما انه وقف موقف المصور حينا و الناقد حينا و الموجه حينا آخر فكان بذلك أبلغ الكتاب الواقعيين.

ويعتبر كل من القرآن و السنة و التاريخ الإطار المرجعي للجاحظ في كتاباته، وتعتبر هذه العوامل مرجع كل أديب عربي اهتم بالجانب الإصلاحي السياسي الاجتماعي و الأخلاقي.

لقد حرص أبو عثمان في رسالته المعاد و المعاش على بلاغة القول و التفنن في صوغ الأفكار و التدقيق في المعاني، مختارا بذلك عبارات موزونة غير مقفاة، ومن ثم جاء أسلوبه

---

[1]- الجاحظ، "الحيوان"، ص 3.

[2]- ميشال عاصي، "مفاهيم جمالية و النقد في أدب الجاحظ"، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص104.

فيها معبرا عن الفكرة المقصودة تعبيرا دقيقا بعيدا عن التكلف في المعنى أو التصنع في الأسلوب ما جعل الفكرة واقعية مرسومة بموضوعية فنجده يطابق بين عمق الفكرة و دقة اللفظة و يبتعد كل البعد عن الإخلال بتوازنهما[1]،يقول في ذلك "و أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره و معناه في ظاهر لفظه، و كأن اللّه عزوجل قد ألبسه من الجلالة ،و غشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه،و تقوي قائله ، فإذا كان المعنى شريفان و اللفظ بليغا و كان صاحبه صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه، منزّه عن الاختلال، مصونا عن التكلف، في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة، ومتى كانت الكلمة على هذه الشريطة و نفذت عن قائلها على هذه الصفة،أصحابها اللّه من التوفيق، و منحها من التأييد ما لم يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا تذهل عن فهمها معه عقول الجهلة."[2]

هذا و كانت ألفاظه دقيقة واضحة بعيدة عن الخشونة و الغرابة قريبة من الإفهام ترسم الحوادث كما هي و تصور الأشكال و الحركات إذ يقول:

ومتى شاكل –أبقاك اللّه–ذلك اللفظ معناه،و أعرب عن فحواه و كان لتلك الحال وفقا، ولذلك القدر رفقا، وخرج من سماحة الاستكراه و سلم من فساد التكلف كان قيما بحسن الموقع و بانتفاع المستمع و أجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين و يحمي عرضه من اعتراض العيابين، ولا تزال القلوب و الصدور به معمورة، و متى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيرا في جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد، حبب إل ـى النفوس و اتصل بالأذهان، والتحم بالعقول وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب، وخف على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره ، و عظم في الناس خطره، وصار ذا مادة للعالم الرئيس،و رياضة للمتعلم الريض"[3]

[1]–محمد كرد علي، "أمراء البيان"، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر،سنة 1367هـ،ج2، ط2، ص343

[2]– المرجع نفسه، ص ص 344،345.

[3]–رابح الغوبي،"السخرية في أدب الجاحظ"، ص381 من البيان و التبيين ج2،ص ص6، 7.

و قد تميزت طريقة كتابته في هذه الرسالة بالجمل القصار، و الفقرات المتقابلة، و تعدد النعوت لشيء الواحد،و إجادة استخدام حروف الجر متتابعة متغايرة في دقة و حسن استعمال، و استقصاء كل أجزاء المعنى، و تأديته بعدة جمل تبدو في الظاهر ترادفا و تكرارا، و لكنها في الواقع تجسيم للمعنى، و تفنن في إبرازه و استفاء لكل ظلاله [1]، وقد اعتمد الجاحظ في رسالته التي بين أيدينا الأسلوب الخبري أكثر منه الإنشائي فمثلا في قوله: "حفظك اللّه و أمتع بك أما بعد فإن جماعات أهل الحكمة قالوا..."وكذلك استعمل التشبيه في قوله: "ألبس ثوب الوقار و الهيبة" و هو تشبه بليغ، شبه الوقار بالثوب، كما انه وظف الاستعارة و ذلك في قوله: و من عرف بالوفاء استنامت إلى الثقة به الجماعات. هي استعارة تصريحية في قوله "استنامت": شبه حالة ارتياح الناس و اطمئنانهم لمن عرف بالوفاء بحالة النوم، صرح بالمشبه به و هو النوم، و حذف المشبه و هو الاطمئنان. كما كان لطباق بين الأسماء و الصفات نصيب في هذه الرسالة يتجلى فيما يلي: المحمودة و المذمومة، الجمال و الذمامة، اللؤم و الكرم، الجبن و الشجاعة.

أما الطباق بين الأفعال فجاء بين تحمده و تذمه، و قد جاء هذا الطباق عفواّ دون تكلف لأن الجاحظ كان في معرض الحديث عن اختلاف البشر في الطبائع و الخلائق مع اتحادهم في الهيئة و الصورة، و هذا الاختلاف يقضي بوجود الشيء و نقيضه.

هكذا يتجلى لنا الأسلوب الأدبي لدى الجاحظ و هو أسلوب علمي وسطي الذي امتاز بالإبداع و السهولة و اليسر يتخير من الألفاظ أروعها، و من العبارات أجودها و من الصور أوضحها و أدقها في تصوير ما يريد الإبانة عنه. و بهذا بلغ (أبو عثمان) الغاية في الجزالة و البلاغة فاعتبر النقاد نثره المثل الأعلى في إتقان اللفظ وإيجاده المعنى.

[1]-عبد العزيز عتيق، "الأدب العربي في الأندلس"، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ت، ص 431.

4- إيديولوجية الجاحظ في الرسالة :

الآداب التي يعقد عليها الجاحظ قوله و يدير رسالة المعاد و المعاش حولها هي قواعد السلوك الاجتماعي أو مبادئ المعاملة بين الناس، و هي آداب تصلح لإدارة أمور الدين و الدنيا و هي وسائل لتحقيق الخير في المعاد و المعاش.

لقد سعى الجاحظ في هذه الرسالة إلى تفسير الظواهر الاجتماعية موجها كلامه و نصائحه للقاضي و يلزمه بتطبيقها مدام هو في هذا المركز الحساس ألا و هو الحكم أي السلطة، فالجاحظ يرى بأنه على الحكيم تبيان أسباب الأمور و عواقبها لأنه هو الذي يعرف علل الأشياء ولهذا يستوجب حضور العقل لأنه هو الذي يكبح الهوى ويسير بالإنسان في الطريق المستقيم و يبين ظواهر الأمور و بواطنها من غير تكلف، لأن العقل هو الذي يقوم باستنباط أي استخراج علل الأشياء و يقوم بوصفها و عرضها. فالجاحظ يذهب إلى أن معرفة الأسباب تقضي إلى اليقين، أما مجرد العرض و الوصف فيقف بصاحبه عند الظن، كما يشير أيضا بان أحكام الدين مبينة الأسباب و مكشوفة العلل.و بهذا يكون الجاحظ قد وحد بين الفلسفة و الدين مبينا مذهبه الطبيعي فهو يؤمن بوجود طبائع فطرية في الخلق سواء كانوا بشرا أو حيوانات أو جمادات، و هم مضطرون للخضوع إلى هذه الطبائع و ليسوا أحرارا في مخالفتها إذ يقول:" إن الطبائع هي التي رُكب عليها الخلق، و فُطرت عليها البّرايا كلُّهم، فهم فيها مستوون، و إلى وجودها في أنفسهم مضطرُّون، و في المعرفة بما يتولد عنها متّفقون"[1].

إن الصفات التي ركز عليها الجاحظ في رسالته هي: الصبر، الصدق، الحلم، والوفاء. و أضدادها هي: الغضب، الكذب، الجزع، والحسد.

فالصفات المحمودة التي ركز عليها الجاحظ هي في الواقع كل ما يحتاجه الإنسان ليسير أمور حياته الدينية و الدنيوية، فهي صفات لا يتصف بها إلا الإنسان العاقل ذو القلب الطاهر و الشريف، كما أنها منبع خير وسعادة. أما الصفات المذمومة لا تصدر إلا ممن استصغر قدر نفسه و تعود على صاحبها الشر و الحزن.

[1]- الجاحظ، "رسائل الجاحظ"، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ص97

4-1- أهم الأفكار التي جاء بها الجاحظ في رسالته المعاد و المعاش:

- **آداب الدين و الدنيا واحدة:**

يحدد الجاحظ الآداب بأنها آلات أو وسائل تستعمل لتدبير أمور الإنسان في الدنيا و الآخرة و في الدين و الدنيا مبينا بأن الفرق بين الدين و الدنيا هو اختلاف الدارين فقط و الآداب واحدة و الحكم واحد و بهذا تقوم المملكة و تثبت الدولة وتستقيم السياسة،و يشير أيضا بأن هذه الآداب وضعت على أساس الطبائع.

كما يوصي الجاحظ أبا الوليد بتقوى الله لأنها السبب في جلب الخير و طرد الشر و النجاة من كل سوء و هي أقوي معين على بلاء الدنيا كما أنها سبب في حب الناس لك فاجعل تقوي الله سلاحك في الحياة. مما سبق يتبين لنا بأن الجاحظ وحد بين الدين و السياسة و خلط بينهما خلطا قويا.

- **طبع الناس مبني على حب المنفعة و دفع الضرر:**

من طباع الناس الأساسية حب المنافع و دفع المضار، و يؤكد الجاحظ على أنهما فطرة في الإنسان و الحيوان. فالنفس طبعت على ميول أهمها حب الراحة، و العلو و الغلبة و الاستطراف، و اللذة الحسية المتنوعة.

- **الرغبة و الرهبة أساس السياسة التي تحكم المجتمع:**

السياسة تقوم على الترغيب و الترهيب و هما غريزتان فطريتان في الإنسان و قد لجأ إليهما الدين عندما ذكر الجنة و النار، الجنة للترغيب و النار للترهيب، و أرفق الترغيب و الترهيب بمبدأ ثالث و هو العدل، و قابلهما بمبدأ رابع و هو الوعد و الوعيد.

يعني الجاحظ بالسياسة هنا التدبير أي تدبير شؤون الناس، و يفهم هذا من قوله: "فالرغبة و الرهبة أصلا كل تدبير و عليهما مدار كل سياسة، عظمت أو صغرت."[1]

[1]- الجاحظ، "رسائل الجاحظ"، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ص105.

- **العدل أساس السياسة في الحكم بين الناس:**

يحدد الجاحظ معنى العدل في الدنيا أو في السياسة بالإنصاف و المساواة أو بالإثابة أو الجزاء حسب الاستحقاق بمعنى الإثابة على العمل الصالح و العقوبة على العمل الطالح.

- **لائحة الأسباب و العواقب:**

يقول الجاحظ بان لكل شيء إفراط و تقصير، و الفضيلة في ملازمة الحدود أو في التوسط. و في رسالته هذه تطبيق صريح لمبدأ السببية الذي آمن به الجاحظ، إذ ينصح القاضي بالتوكل على الله ثم الأخذ بالأسباب، و التوكل لا يعنى التواني و الاعتماد على قوة أخرى و لا يعنى الإحالة على الأقدار لأن الله عزوجل أمر بالتوكل عليه عند انقطاع الحيل و بذل ما في الوسع.

- **الجود و البخل:**

يحدد الجاحظ معنى الجود بأنه مساعدة المحتاجين عند النوائب، و التفضل على الراغبين مع تجنب السرف، أما البخل هو أن يتحفظ على المال كله لنفسه.

- **الصمت و المنطق:**

المنطق استعمل هنا بمعنى النطق، و لم يستعمل بمعنى العلم، و هو ضد الصمت و الجاحظ هنا ينصح بالاعتدال في الكلام و الصمت لأن الصمت أحيانا يكون أنفع من الكلام لأن الكلام إذا كان في غير موضعه انقلب على قائله.

- **الشجاعة:**

الشجاعة تعني المخاطرة في النفس و المال و في كل أمر تجهل عاقبته، و الشجاعة لا تحمد إلا إذا وجبت في الدين أو في سبيل درء العار، ولا تحمد إذا كانت في سبيل منفعة في الدنيا لأنها لا تكون إلا ضربا من الحماقة.

- **معاملة العدو:**

يضع الجاحظ في معاملة العدو قواعد من الخير أهمها معاملته بالحسنى و كتمان السر و الاستعداد للمواجهة.

- **أجناس الناس:**

يجعل الجاحظ الناس من حيث الخدمات التي يؤدونها للحاكم ثلاثة أجناس: أصحاب الرأي و المشورة، أهل الشدة و الغلظة، و أصحاب المهن المختلفة. و ينبغي على الحاكم العناية بهم جميعا و تعهدهم بالثواب و الجزاء.

- **معرفة الأمور الغائبة:**

العلم بما غاب نحصل عليه بطرق ثلاث:

أ) الأخبار المتواترة التي يحملها الولي و العدو و الصالح و الطالح أي جميع الناس تقريبا.

ب)الأخبار المتواطئة:و هي التي يتفق عليها العدد الكبير من الناس و أن جهلها معظمهم،و يجب السؤال عن هذه الأخبار و توجيهها إلى عدة أقوام نقلوها فإذا تواطئوا عليها على الرغم من تفاوت أحوالهم اعتبرت صحيحة.

ت)الخبر المفرد: هو الذي يجيء به الرجل أو الرجلان، لا يصح تصديقه إلا إذا كان المخبر عادلا و صاحب ثقة.

درجات العلم ثلاثة هي الشك فالظن فالعلم. أول العلم بالأمور الشك فإذا ظهرت بعض الأدلة و زال الشك وحل مكانه الظن وحل العلم اليقيني.

- **الصداقة:**

الصداقة ضرورية للإنسان لأن الصديق يعتبر أخ ثان، و هو شقيق الروح و توأم العقل و أنيس العيش. ينبغي الحرص عليه والإكثار منه.

- **العادات المذمومة:**

يمقت الجاحظ المفاخرة بالأنساب لأنها صفة تشعل العداوة و البغضاء في نفوس الناس، ذلك لأن المفاخرة بالأنساب تقسم الناس إلى مراتب وفق أنسابهم و ألوانهم وأجناسهم وأشكالهم وهي صفة لا يتصف بها إلا الإنسان الجاهل، و نهي عن الكذب لأنه يوقع بصاحبه إلى التهلكة وعن الغضب و الجزع و الحسد و الغدر و العتاب لأنها كلها أخلاق دنيئة تسبب القطيعة بين الناس و كذلك يمقت مقتا شديدا قلة الاكتراث بالصديق.

- **امتداح الذات:**

مقت الجاحظ المداحين، و بالتالي الشعراء و الكتاب الذين أكثروا من المديح مبينا غايتهم من المديح ما هي إلا وسيلة للربح حيث قال: "فأما ثناء المادحين لك في وجهك، فإنما تلك أسواق أقاموها للأرباح..."[1]

- **سياسة السلطان:**

يقصد بها كيفية التعامل مع السلطان العادل و السلطان الجاهل:نصائح قيمة يسديها الجاحظ للقاضي.

إذن مما سبق يتبين لنا أن الجاحظ في رسالته المعاد و المعاش انطلق من واقعية السلوك الاجتماعي حيث تغلغل في الحياة و أحوال الناس تغلغلا عميقا و يظهر لنا هذا من خلال قوله: "و احذر خصلة رأيت الناس قد استهانوا بها..." [2] ، و كذلك قوله: " و أنا أوصيك بخلق قلّ من رأيته يتخلق به، و ذلك أن محمله شديد و مرتقاه صعب".[3]

---

[1]- الجاحظ، "رسائل الجاحظ"، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ص 129.

[2]- المصدر نفسه، ص126.

[3]-المصدر نفسه،ص 128

كما أنه اتسم بشمولية في عرض أفكاره عن طريق مقابلة الخصال المذمومة بنقائضها من خصال محمودة مثل قوله: "و بقدر ما ذمت الحكماء هذه الأخلاق الأربعة فكذلك حمدت أضدادها من الأخلاق..." [1]. لكن هذه الشمولية لم تمنعه من النزوع إلى التقسيم فمثلا قوله الصبر صبران فأعلاهما... و الحلم حلمان فأسرهما...، و في قوله أيضا:" و اعلم أن كثرة العتاب سبب للقطيعة فكن فيه بين أمرين: عاتبه فيما تشتركان في نفعه و ضره..." [2]. إن هذا التقسيم دفع بالجاحظ إلى الميل في التحديد و التعريف لأفكاره بدقة، حيث يظهر لنا التحديد في قوله:" الصبر صبران"، و التعريف في قوله: " الغضب ثمرة لخلاف ما تهوى النفس".[3] كما يتبن لنا بأن جلّ كلامه في الرسالـــة عبارة عن توجيــه الحديث إلى المخاطب مثل قوله: "واعلم"، "و احذر"، "واقتصد في مزاحك"، "أوصيك بالحق". كما جاءت توجيهاته عبارة عن جمل طويلة تتراوح بين المركبة و البسيطة و الجمل المرسلة المقيدة بالسجع و الغير مقيدة، لكن أغلبها كانت جمل مركبة.نذكر على سبيل المثال قوله: " واعلم ان الحكماء لم تذم شيئا كذمها أربع خلال" [4] و هذه عبارة عن جملة مركبة، أما البسيطة قوله: "لم يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه" [5]. و مثال الجمل المرسلة تظهر في قوله: " تفز بالراحة في العاجل و الكرامة في الآجل".[6]

---

[1]- الجاحظ، "رسائل الجاحظ"، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ص125.

[2]-المصدر نفسه، ص127

[3]-المصدر نفسه، ص124

[4]-المصدر نفسه، ص123

[5]-المصدر نفسه، ص 126

[6]-المصدر نفسه، ص 125

لم يكتفي الجاحظ بهذا بل أخذ ينسب بعض المعلومات و الأقوال إلى حكماء لزيادة الإقناع في كلامه الموجه للقاضي و يظهر لنا في قوله: " وقال بعض الحكماء: الحسد خلق دنيء و من دناءته... نيل المكارم".[1]

إذن نخلص لأن الجاحظ من خلال رسالته المعاد و المعاش راح ينبه العقول، و يفتح العيون، و يوقظ الأذهان بحسن إدراكه و قوة بيانه و دقة ملاحظته، آملا بمستقبل مشرق و تنمية حقيقية للأمة العربية،" إذ جعل أدبه أدبا واقعيا يصور مجتمعه و كل ما فيه من أخلاق و عادات تتصل بالرجال و النساء و القيان و كيدهن. و دائما تلقاك طوابعه العقلية من القدرة على الجدل و استنباط البراهين و الأدلة و دقائق المعاني و الأفكار خائضا بك في أعمق المباحث الكلامية من تنزيه الله عن الشبه بالمخلوقات أو الكلام عن صفاته أو في المعرفة أو في الاستطاعة مع ذكر أطراف مما يجرى فيه الناس و يخوضون فيه، و مع التنقل في كل الموضوعات من الإنسان أو الحيوان أو النبات"[2] .

فرأى الجاحظ أنه لابد من إتباع شروط و معطيات أساسية لبناء كل مجتمع مستندا في ذلك إلى ما ارتكزت عليه الثورة الإسلامية في عهد النبوة. و أهم هذه الشروط:

- ✓ صفاء العقول من كدر الخرافات و صدأ الأوهام، و الإسلام يقتضي ذلك لأن أول ما بني عليه الدين الإسلامي صقل العقول بصقال التوحيد و تطهيرها من لوث الأوهام.
- ✓ الإيمان لأنه هو المنطلق، و هو الأساس، فبالإيمان يمتلئ قلب العبد باليقين و الرضا، و الاعتماد على الله- عزوجل- و التوكل عليه و الاستعانة به في جميع الأمور.
- ✓ أن تكون نفوس الأمم مستقبلة وجهة العبادات ،طامحة إلى بلوغ الغاية منها بأن يجد كل واحد من نفسه أنه لائق لأية مرتبة من مراتب الكمال الإنساني .
- ✓ الأخلاق فهي من عوامل البناء في المجتمع، و الجاحظ تحدث عنها طويلا و دخل إليها من بابها الواسع، فمن مظاهر الأخلاق: الصدق، الصبر، الحلم و الوفاء، فلا يمكن أن يستقيم مجتمع حتى تظهر فيه الصفات.

---

[1]- الجاحظ، "رسائل الجاحظ"، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ص129.

[2]-شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الأول)"، ص596

- ✓ العلم فهو يعتبر من أهم عوامل بناء المجتمع، إذ لا يتصور أن تقوم أمة بغير علم.
- ✓ الشورى بمعني التشاور و هي ليست مقصورة على الحكام أو سادة الأمة فقط بل تكون بين جميع الناس و في كل الأمور.
- ✓ العدل فإذا لم يطبق ساد الظلم و انهدم المجتمع، لذلك يجب العدل على مستوي الحكم و في جميع المعاملات.

في الأخير نخلص إلى أن الجاحظ في رسالته المعاد و المعاش طرح مشاكل مجتمعه معطيا الحلول لها بطرق عقلانية مقبولة توافق الشريعة الإسلامية و معطيات القرآن و السنة و حث القاضي على تطبيقها بحكم أنه هو المسؤول على رعيته,

الخاتمة

الخاتمة

من خلال بحثنا هذا، و الذي حولنا فيه الاطلاع على البعد الاجتماعي في رسالة " المعاد و المعاش" خلصنا إلى أن الجاحظ كان من بين أبرز العلماء الذين أخرجتهم الحياة العلمية التي كانت سائدة في العصر العباسي إلى الوجود. و ذلك لما اتصف به من رغبة شديدة إلى اكتساب المعرفة من شتى ينابيعها، و قد مكنته هذه الرغبة من تحصيل كم هائل من المؤلفات و من بينها "رسائل الجاحظ".

هذه الرسائل تنوعت و تشبعت بمختلف المواضيع لكننا وقفنا عند موضوع واحد و هو قواعد السلوك الاجتماعي و مبادئ المعاملة بين الناس، حيث يدعو الجاحظ إلى المحافظة الاجتماعية و التمسك بالفضائل التي توطد ركيزة المجتمع الخلقية، و هذا من خلال رسالة "المعاد و المعاش".

و لقد نتج عن بحثنا هذا أيضا مجموعة من النتائج نذكرها كالآتي:

- كسب الجاحظ ثقافة واسعة أثرت مواهبه و حركت مداركه، كانت نتيجة عوامل أهمها:

- معاصرته لاثنى عشرة خليفة عاش خلالها مختلف المظاهر التي عرفها عصره الذي مثل الزمن الذهبي للدولة العباسية.
- و كذا البيئة و أفراد المجتمع الذي عرف من خلالهما طبائع الناس و أخلاقهم فغاص وسط سرائر أنفسهم مما ساعده على إدراك فضائلهم و رذائلهم.

- حينما تكلم الجاحظ عن خصائص مجتمعه و الخصائص الفردية و الثقافات الاجتماعية كان يهدف إلى تغيير ما يمكن تغيره
- اهتم الجاحظ بتوجيه و إرشاد مجتمعه إلى الطريق الأفضل لكي يسمو بهم إلى مكانة أحسن، و هذا نتيجة تربيته و علمه و أخلاقه و ارتباطه بالقيم الإسلامية و مبادئه و على رأسها الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فجاءت مختلف مؤلفاته التي أطرتها نظرته الإصلاحية، و الأخلاقية و الاجتماعية مخضعا هذه الأفكار لسلطته الأدبية بمختلف خصائصها الأسلوبية السامية.

- إن الجاحظ استطاع بأسلوبه الدافئ الحي الوثاب أن يجعل آثاره تنبض حياةً على مر العصور يختصر العبقرية العربية في الفكر والأدب والإبداع.
- لقد اعتمد الجاحظ على أسلوب مميز في طرح أفكاره حيث كان أسلوب التوجيه و الإرشاد يهدف إلى غرض إصلاح المجتمع، كما استطاع بحكم هيبته الأدبية أن

يجعل من المرح جدا ومن الضحك وقارا و أن يضع لهذا الغرض قدره الذي فرضته البيئة بما فيه من الهول و التهديد.

- لقد كان للجاحظ مذهب اجتماعي مركّز أي منظّم و موجّه بشكل سليم في وصف مجتمع عصره كما هو، موحيا بذلك كيف أراده أن يكون. و بهذا يكون قد دشّن في النطاق الاجتماعي ركائز الأسلوب العلمي: أي الملاحظة و المقارنة فالنقد.
- وأثر الجاحظ بارزٌ في ثقافة العرب عامة، ولا يختلف اثنان في حضور نزعته الإنسانية فيما بقِيَ بين أيدينا من كتبه ورسائله وأخباره
- لقد بقيت آثار الجاحظ و أفكاره حية إلى عصرنا الحديث فالمعاصر خاصة كتاباته عن إصلاح مجتمع عصره، و الدليل على هذا ظهور مجموعة من الأدباء و المصلحين في المشرق و المغرب اهتموا بمختلف جوانب الحياة فعمدوا على تغييرها و إصلاحها بكتاباتهم الأدبية فحذوا حذو الجاحظ و اعتمدوا على أغراضه الأدبية و تأثروا بمؤلفاته.

و في الختام نرجو أن نكون قد بلغنا هدفنا خلال بحثنا هذا و أن نكون قد استوفينا و الو الجزء البسيط من القيمة الأدبية للجاحظ، و لكن إذا كان المجتمع العباسي بل و العربي قد استفاد من كتابات الجاحظ إلى وقتنا هذا الحالي، فما مدى اقتباس المستشرقين الغرب من كتاباته في نظرياتهم حول علم الاجتماع؟

ملخص البحث

تناول هذا البحث البعد الاجتماعي في رسالة " المعاد و المعاش" للجاحظ و قد اشتمل على مقدمة، مدخل، فصلين و خاتمة.

حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نستعرض علاقة الأدب بالمجتمع و الدور الذي لعبه الأدب في تغيير المجتمع بصفة عامة و في مجتمع الجاحظ بصفة خاصة, كما استعرضنا أهم المحطات التي مرّ بها الجاحظ في حياته،كذلك حاولنا أن ندرس رسالته المعاد و المعاش مركزين على عنصرين أساسيين: الدافع إلى تأليفها و إيديولوجية كاتبهـا فيهـا.

و انهينا البحث بخاتمة شملت مجمل النتائج التي أحرزها هذا البحث، ثم قائمة المصادر و المراجع، وفي الأخير ملخصين بالعربية و الفرنسية.

Cette recherche de la dimension sociale a été étudie dans la lettre "EL MAAD ET EL MAACHE" de "EL DJAHIDH". A inclus une introduction, une entrée, deux chapitres et une conclusion.

Nous avons essayé à travers cette étude d exposer la relation enter la littérature et la société, et le rôle joué par la littérature dans le changement de la société d une manière générale, et dans la communauté de l'auteur en particulier. Comme nous avons exhibe les événements essentiels que l auteur a rencontré dans sa vie. Ainsi que nous avons essayé d'étudier son message"EL MAAD ET EL MAACHE en se concentrant sur deux éléments clés: son intention a le rédiger et son idéologie. Finalement, nous avons terminé ce travail par une conclusion qui inclus les résultats globaux obtenus par cette recherche, puis la liste des sources et des références, et enfin deux résumés en arabe et en français.

المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

❖ **القرآن الكريم**: رواية ورش

الآية 72من سورة الإسراء.

❖ **المصادر :**

1- الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ج 1، 2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1964م.

❖ **المراجع :**

1-الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق يحي مراد، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة.

2-عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، دار الجبل، بيروت.

3- الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب): البخلاء، تحقيق الدكتور محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 2006م.

4- الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب): البيان و التبيين، شرح الدكتور علي بوملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1988م.

5-الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون،ط 2، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، 1348هـ/1965م.

6-أحمد رأفت عبد الجواد: مبادئ علم الاجتماع، (د ط)، مكتبة النهضة الشرق، جامعة القاهرة،مصر،1982م.

7-بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العباسية، ط6، دار الثقافة، بيروت، 1968.

8-جبر جميل: الجاحظ و مجتمع عصره، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

9-جورج غريب: الجاحظ دراسة عامة، ط2، دار الثقافة، بيروت.

10-رابح الغوبي: فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع و التدوير و البخلاء و الحيوان، ديوان المطبوعات الجامعية، 1409هـ -1989م.

11-زكريا كتايجي: الترك في مؤلفات الجاحظ، د ط، دار الثقافة، بيروت، 1972.

12-سامي يوسف أبو زيدة: الأدب العباسي النثر، ط 1، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، 1432هـ - 2011م.

13-شارل بللا: الجاحظ في البصرة و بغداد و سامراء، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، دمشق،1985.

14-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، ط 6، دار المعارف، مصر، د ت.

15-عبد الحليم محمد حسين: السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع و الإعلان، ليبيا، 1988.

16-عبد السلام المسدي: قراءات مع الشابي و المتنبي و الجاحظ و ابن خلدون،د ط، الشركة التونسية للتوزيع، 1989.

17-عبد المنعم خفاجي: الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1982.

18-فاروق سعد: مع بخلاء الجاحظ دراسة تحليلية مقارنة، ط 6، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1992.

19-فروخ عمر: المناهج في الأدب العربي و تاريخه، ط 1، منشورات المكتبة المصرية، صيدا، بيروت لبنان، 1959.

20-فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ في االبيان و التبيين، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005.

21- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ط 3، دار المعارف، مصر، د ت، ج3.

22- كمال اليازجي: في الشعر العربي القديم الأصول الخلقية، مكارم الأخلاق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

23-مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 3، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1986.

24-محمد طه الحاجري: مجموع رسائل الجاحظ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت.

25-محمد علي الخطيب: الصراع الأدبي مع الشعوبية بين الجاحظ و الشاعر الفردي،دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان.

26-محمد كرد علي: أمراء البيان، ط 2، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1367هـ، ج2.

27- محمد لبيب النجيحي:الأسس الاجتماعية للتربية، ط 8، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1981.

28- ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية و النقد في أدب الجاحظ، ط 2، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1978.

❖ المجلات:

1-عيسى عودة برهومة، "رسائل الجاحظ الأدبية و السياسية"، المجلة الجامعية الهاشمية، الأردن، العدد الثاني،د ت.

2-محمد خليل، "علم اجتماع الأدب نشأته و تطوره"، عالم الفكر، العدد الثامن، المجلد 40، جوان،2012.

❖ مواقع الأنترنت:

www.alsakher.com

www.alwaraq.com

www.maganin.com

الفهرس

مقدمة.....أ, ب , ت.

مدخل..... 05

تمهيد..... 06

علاقة الأدب بالمجتمع..... 7

مفهوم البعد الاجتماعي..... 9

مظاهر العمل الاجتماعي في أدب الجاحظ..... 12

الجانب السياسي..... 12

الجانب الاجتماعي..... 14

البخل..... 14

الشعوذة و التنجيم و الخرافات..... 16

الفصل الأول

المبحث الأول: نبذة عن حياة الجاحظ..... 24

اسمه و مولده..... 24

نسبه..... 26

نشأته و حياته..... 28

وفاته..... 30

ثقافته و مصادره..... 34

آثاره..... 37

مقامه في أراء خصومه و عارفيه..... 38
المبحث الثاني..... 42
الحياة السياسية..... 42
العصر العباسي الأول..... 42
العصر العباسي الثاني..... 43
الحياة الاجتماعية..... 45
الحياة الفكرية و الثقافية..... 49
الفصل الثاني
المبحث الأول..... 54
تمهيد..... 54
نموذج من الرسالة..... 55
التعريف بالرسالة..... 60
دواعي و أبعاد تأليف رسالة المعاد و المعاش..... 60
مضمون الرسالة..... 63
المبحث الثاني..... 66
التحليل الأدبي لرسالة..... 66
الدراسة البلاغية للرسالة..... 69
أسلوب الجاحظ في الرسالة..... 71

إيديولوجية الجاحظ في الرسالة..... 74

الخاتمة..... 83

ملخص البحث..... 85

المصادر و المراجع..... 87

الفهرس..... 93